سمر سيد





كيف حكم المرضى النفسيون العالم

الرواق للنشر والتوزيع



كيف حكم المرضى النفسيون العالم

سمر سيد

إهداء

إلى كُلِّ مَن راودهُ الشعور ذات ليلةٍ بأنه من المُعذَّبين في الأرض، إلى كُلِّ مَن قُهِر ظُلْمًا واستبدادًا، إلى الأرواح التي تَسْبحُ في ملكوت الربِّ بعدما دفعتْ ثمن خطايا الجهل والجنون.

«وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا».

[الإسراء: آية 37].

«لِذلِكَ تَقَلَّدُوا الْكِبْرِيَاءَ. لَبِسُوا كَثَوْبٍ ظُلْمَهُمْ».

[سفر المزامير 73: 6].

الفصل الأول كيف يُصنع المستبد

كان أستاذي -رحمة الله عليه- يرفع بنطاله بكلتا يديه ويقول بصوت عالٍ: التاريخ، اطِّلعوا على التاريخ وقصصه تفهموا الحياة بحاضرها وتستقرئوا المستقبل بمجهوله.

تذكرتُ جملتَه بعد تلك السنوات الطويلة وأنا أكتب عن فصول عاتية من الظلم والاستبداد.

فكم عدد الطغاة مُرتكبي الجرائم وسافكي الدماء الذين تعاقبوا على حُكم شعوب العالم؟

وكم عدد مَن صفَّق وهلَّل لهم من الفاسقين؟ وكم هي أوجه التشابه بينهم في سيكوباتيتهم، كأنهم توائم في المضمون الفكري والعقلي والنفسي والعلمي؟

تُرى ما الفرق بين طواغيت العالم الذين حكموا الشعوب بأمراضهم وعلاتهم النفسية؟! هم متشابهون في كل شيء تقريبًا، فهم رمز وقدوة للفساد والاعتلال النفسي، يبثونه في جميع أجهزة نظامهم العقيم، ولا يرون إلا أنفسهم، ولا يسمعون سوى أصوات شهواتهم الشاذة المقيتة، ويلهثون وراء مطامعهم، هؤلاء الذين ينتمون إلى نادي العَتَه والتخلُّف العقلي.

كُلُّ الأمراض التي تُصيب الإنسان تُدرك بالعقل، فإذا أُصيب العقل ذاته بالمرض فلن يتسنى لصاحبه أن يُدرك أنه مريض. الآخرون فقط هم من سيُقرِّرون أن هذا الشخص مريض، وهم من سيذهبون به لعلاجه. فإذا وُجد مجتمعٌ بكامله مصابًا في عقله فسنكون أمام مشكلة كبرى، لماذا؟ لأن المرض هنا بحكم شيوعه سيكون هو الصحة وما عداه هو المرض، ولن يكون أمام الأصحاء في هذا المجتمع سوى الهجرة، أو السلبية، أو مسايرة المجانين في جُنُونِهم.

إن أمراض العقول التي تُصيب الأفراد تُدرك قياسًا بما لدى الأصحاء، فالمرض العضوي يُعرَف بالألم، بينما المرض العقلي يُعرف بموافقة أو مخالفة ما عليه الأصحاء؛ أي أن القياس في

الأمراض العقلية هو على مدى سلوك الصحة العقلية لدى الناس. الإشكالية هنا هي: ماذا لو كان السائد هو الجنون؟ مع العلم أن الناس قد اتفقوا على أن المجنون يرى غيره من الناس مجانين، ويرى أنه

العاقل الوحيد، فالمشكلة إذن مركبةٌ، وتحتاج إلى عقلٍ من الخارج يحسمها.

فأين هو ذاك العقل الذي هو من الخارج، ويرضى بحكمه الجميع؟

لا حدود لغايات الإنسان، قد يبلغ مرتبة الملائكة أو ينحدر لأحط من الشياطين أيهما أشد شرًّا؟ الشياطين أم المستبدون؟ أقول لك -بلا تردُّد-: إن المستبدين أخطر شرًّا على الإطلاق؛ تخيَّل معي الشيطان نفسه لم ينازع الخالق في عظمته، وأما المستبد فيوهمه غروره بذلك.

الديكتاتور

السؤال الذي يطرح نفسه لدى تأمل ظاهرة الطغيان: هل الطاغية هو من يدفع بمؤيديه لجعله إلهًا؟ وهل يريد الطاغية أن يكون مؤلَّهًا بالضرورة؟ هل هو من يطلب من مواليه هذا المستوى الجنوني من الطاعة العمياء، ولماذا؟ هل يدرك الطاغية أنه ظالم ومستبد؟

هذه الأسئلة التي تتصل بجوهر ظاهرة الاستبداد، سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، وتقديم لمحة عن التركيبة والبِنية النفسية لشخصية الطُّغاة التي طبعت التاريخ البشري بطابع دموي، دفعت الشعوب -وما تزال- ثمنًا باهظًا لانحرافاته النفسية!

الاستبداد الشمولي والاستبداد الديكتاتوري:

يصح القول بأن لكل طاغية عبر التاريخ شخصيتها المميزة وبصمتها المتفردة في الإجرام، ولكن هناك مجموعة من الطبائع والسمات مشتركة عند جميع الطغاة مهما اختلفوا في الزمان والمكان. وقبل الدخول في صلب الموضوع علينا أولًا التمييز بين (أنظمة الاستبداد الشمولية) و(أنظمة الاستبداد الديكتاتورية). فكل نظام شمولي هو حتمًا ديكتاتوري، ولكن ليس كل نظام ديكتاتوري هو بالضرورة نظامًا شموليًّا.

في الأنظمة الديكتاتورية يوجد -نوعًا ما- هامش نسبي من الحرية النقابية والسياسية والاجتماعية (تعددية محدودة). في النظام الديكتاتوري لا يتغلغل الاستبداد في كل مفاصل الحياة وأدقّها بلا استثناء كما في النظام الشمولي الذي لا يترك مؤسسة من مؤسسات المجتمع سواء كانت مدنية أو عسكرية خارج هيمنته المطلقة (تعددية معدومة) مُوظفًا بذلك قدرات هذه المؤسسات،

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية والإعلامية بشكل خاص لما يخدم رأس النظام (الرئيس أو الملك أو الإمبراطور) الذي ينتقل من مرحلة (الديكتاتور) إلى مرحلة (الطاغية)، والتي يمكننا اعتبارها أعلى مراحل الاستبداد.

السمات النفسية العامة للطاغية.

للطغاة بعض السمات المشتركة التي لا يختلف عليها العقلاء.

- **الرأي والرأي القاتل:**

طبائع المستبِد لا يمكن أن تتسع لأي خلاف من أي نوع كان؛ فهو لا يستمع إلى غيره، ويعتقد أنه دائمًا على حق وصواب؛ أي اختلاف معه بالرأي هو جزء من المؤامرة عليه، هذا الخلاف حتى لو كان بسيطًا جدًّا يُشكل خطرًا على سلطته وعلى وجوده؛ لذلك يستوجب التخلص من مصدره ودون أي تردد، فغالبًا ما يكون الطاغية (سيكوباتي) يميل إلى السادية، وخصوصًا في لحظات الغضب والانفعال، حيث يسقط قناع العقل والتهذيب الذي عادةً ما يحاول الشخص السيكوباتي إظهار نفسه بهما (هيرفي كليكلي «قناع الصحة»- 1941).

وهكذا كانت تكفي كلمة واحدة مخالفة لرأي صدام حسين أو معمر القذافي كي تودي بصاحبها إلى العَزْل السياسي، وربما التصفية الجسدية حتى لو كان من أقرب المقربين، ومن أكثر الموالين المخلصين، فالمستبد لا يعرف الرحمة والشفقة، وانتقال الشخص من حيِّز الصداقة معه إلى حيِّز العدو الخطير يكون لأتفه الأسباب، وربما تكون وهمية، وهكذا قام (ستالين) و(هتلر) و(موسيليني) و(حافظ الأسد) وغيرهم من الطُّغاة بتصفية كل من يمكن أن يختلف معهم أو يُهدِّد سلطتهم.

الطاغية مُتكبِّر ومغرور، ينفرد برأيه، ويستقل به، ويظن أنه المصدر الوحيد للرأي الصحيح والفكر الصحيح، وقراراته دائمًا حكِيمة، ويظن أيضًا أنه مهم جدًّا على الصعيد العالمي، وأن قراراته تُشكِّل حجر الزاوية في السياسة العالمية، وكما هو عُرضة لمُؤامرة داخلية من أعدائه في الوطن هو أيضًا عُرْضة لمؤامرة خارجية من أعداء الوطن الذي يُمثِّله، ولا يوجد غيرُه قادرًا على تمثيله. أي اختلاف معه بالرأي أو نقد له يُعدُّ اعتراضًا على سلطته وتمردًا عليه ويستفزه؛ لأنه يضع صورة العَظَمَة التي يرسمها لنفسه موضع

الشَّكِّ.

- **القُدسية:**

ما مِنْ مستبد إلا ويتخذ صفة قُدْسية يشارك بها الله؛ فالطاغية يظن أنه على تواصل مع قوى عُليا يستمد منها قدرات خارقة لحماية اتباعه، فإرادته هي إرادة الشعب المنبثِق عنه وممثل له، ومهمته الأولى هي إنقاذ هذا الشعب من المخاطِر التي تحيق به. إنه مُلهم الشعب، ومصدر الأمان بالنسبة لهم.

هذه القدرات الخارِقة (قوة، شجاعة وإقدام، حزْم، وعي وذكاء غير طبيعي، حنكة وحكمة سياسية، ...) تجعل منه شخصيةً تاريخية على مستوى العالم، هذا الإحساس بالعَظَمَة والتفرُّد يقود الطاغية المستبد أحيانًا إلى تصرفات غريبة (اقتناء أسلحة مطلية بالذهب، اقتناء حيوانات معينة كالأسود والنمور، وأحيانًا يقوده إلى سلوك مضحك يصل إلى الملابس والتصرفات الفكاهية غير العقلانية). أما إرادة شرح المفردات والتفلسُف في اللقاءات الرسمية كانت غالبًا ما تظهره بمظهر الضائع المنفصِل عن الواقع أو البَلاهة.

في الواقع كُلُّ طاغية يعاني ضغوطًا نفسية كبيرة كونه المركز الوحيد والمُطلق للسلطة في البلاد، تؤدي هذه الضغوط إلى اضطرابات في بِنيته الشخصية غالبًا ما يستطيع ضبطها والسيطرة عليها في الأوقات الطبيعية، ولكنها تظهر إلى العلَن بشكل مفضوح في لحظات الانفعال والتهيُّج العاطفي: إنجاز علمي أو تجاري ما، نصر عسكري، خوف وانكسار، تمرُّد عليه... في مثل هذه اللحظات

يُكثر الطاغية الوعود بالإصلاحات ولكن علاقته مع الإصلاح كعلاقة المُجْرم مع القضاء الذي برَّأه، فأي تعديل حقيقي على هذا القضاء سيؤدي إلى مُحاكمتِه من جديد.

• **الشخصية المميزة:**

المستبد يُقدِّم نفسه بوصفه شخصية مطلقة تجتمع فيها المتناقضات، فهو قوي جبَّار، شجاع، يضرب بيدٍ من حديد دون أي شفقة، وبنفس الوقت لا يتردَّد عن ارتداء معطف الأب الحنون المُحبّ العطوف الحكيم الذي لا يتوانى عن تقديم العطاءات والمكرمات لأتباعه، يمكننا أن نرى تعبيرًا صارخًا لهذا التناقض في الألقاب التي اختارها الطغاة لأنفسهم أو دفعوا من حولهم

لاختيارها لهم.

الطاغية معصوم من الخطأ، فإذا حصل خلَل ما وانتشرت الجريمة والفساد والرشوة فهذه مسئولية الآخرين الذين لم يُطبِّقوا جيدًا نصائحه وتوجيهاته؛ فلقد اختاره القَدَر؛ لأنه شخصٌ مميز ليس كالآخرين، ولا يوجد أي شخص آخر يمكنه امتلاك مقدراته؛ فهو واحدٌ أحد لم يكن له كفؤا أحد؛ لذلك مكانه القيادة (فإما هو أو لا أحد)، هذا المكان لا يمكن أن يُصبح شاغرًا إلا بموته.

المستبد يشعر دائمًا بنشوة سلطته، ويتحسسها من وقتٍ لآخر من خلال خطاباته الاستعراضية أو من خلال مظاهر التزلف التي يُجبر الشعب بشكل مباشر أو غير مباشر على القيام بها (مسيرات مؤيدة، احتفالات، شعر مديح، أغاني تُمَجِّد قوته...)، ولكنه بنفس الوقت يتمتَّع بنزعة تدميرية مكبوتة في اللاشعور لديه، ولا تنتقل هذه النزعة إلى الحيِّز الشعوري من شخصيته إلَّا حين يشعر بتهديد سلطته، فيكون مبدؤه «إما أنا أو العدم». فالطاغية يضع نفسه في صورة كائن لا حدود لإمكانياته ولا لإرادته، ولا يسمح لأحد بأن يقف في طريق ممارسته سلطته المطلقة، وهو يُفضل الموت على ترْك كرسي الحكم ليس لأنه شجاع كما يحاول أن يصفه ما تبقى من أتباعه بعد رحيله؛ وإنما لأنه لا يتصور وجوده وحياته ووجود غيره دون كرسي السُّلطة.

الوسائل الرمزية أو غير المباشرة للاستبداد:

الوسائل المباشرة للاستبداد في الأنظمة الشمولية هي الجيش، وغالبًا ما تكون السيطرة عليه بشكل مباشر من قِبل الطاغية وعائلته، وهو مُسخَّر لخدمته وخدمة هذه العائلة. هناك أيضًا المنظومة البوليسية (قوى الأمن) التي تعمل ليل نهار على مراقبة المواطنين، وزرع الخوف والرعب في قلوبهم؛ ففي نظام الاستبداد الشمولي كل مواطن هو عُرْضة للاتهام بالخيانة والتآمُر على الوطن وإضعاف الشعور الوطني والقومي.

أما الوسائل الرمزية وغير المباشرة للاستبداد فهي:

- **العقيدة (الأيديولوجية)**

كُلُّ نظام شمولي يستمد شرعيته من عقيدة (قومية، أممية، دينية...)، وهي وسيلة للسيطرة على جميع الفئات العُمرية في المجتمع، وتُعدُّ هذه العقيدة المصدر الشرعي للسلطة، ولكن غالبًا

ما تُفرَّغ من محتواها واختزالها بشخصية الطاغية؛ فهو الوحيد القادِر على فَهْمِها بشكل صحيح وتطبيقها وحمايتها من الانحراف وتصحيح مسارها في حالة ابتعادها عن أهدافها (الحركة التصحيحية).

حالة الفصام النفسي والبارانويا التي يعيشها الطاغية تنعكس على العقيدة نفسها؛ فنجد الفرق الشاسع بين الأفكار التي تُنادي بها هذه العقيدة وسلوك مَنْ يتحدث باسْمِها.

وهكذا تحوَّلت ديكتاتورية البروليتارية في الدول الشيوعية إلى ديكتاتورية طبقة حاكمة مُستفيدة اغتنت على حساب الفقراء التي أتت من أجل حمايتهم حسب مزاعمها، ولم يمنع البعث العربي الاشتراكي الذي ينادي بالحرية والاشتراكية وحماية الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين عائلة وأقرباء من نهب هذا الشعب وسحقه تحت سطوة الفقر والحرمان بينما هم يعيشون في قصور فخمة!

في الأنظمة الشمولية يسعى الطاغية دومًا عبر وسائل إعلامه إلى أن يكون رمزًا للعقيدة من جهة، وللوطن من جهة أخرى؛ فلا يمكن الفصل بين الوطن والقائد والعقيدة. وأي هجوم على شخص

القائد هو انتقاص من قِيمة الوطن، ومحاولة النيل منه، فكلما ذُكر الوطن ذُكر القائد، وكلما ذُكر القائد ذُكر الوطن، وهكذا على مدى سنوات حتى يُصبحَ هناك خلْط واضح بين الاثنين في أذهان مؤيديه، فأي ثورة أو تمرُّد على النظام الشمولي وعلى القائد هي خيانة للوطن!

يبقى السؤال المطروح هنا هو: هل كل عقيدة تؤدي حتمًا إلى نظام شمولي؟

• الصورة:

للصورة الشخصية (بورتريه) مكانة مركزية خاصة في حياة الطاغية وحُكْمِه؛ فهي تنتشر في كل مكان وزاوية من الوطن، ولها وظيفتان:

- وظيفة رمزية: فوجود صورة الطاغية يُعبِّر عن قبول الطاعة والولاء له؛ لذلك يجب أن تكون موجودة في جميع الأماكن العامة والخاصة: الحارات والمؤسسات، ومداخل المدن والقرى والأسواق والحدائق والشركات العامة والخاصة، والجامعات والمدارس والمستشفيات والمساجد والأماكن الأثرية، والوزارات. ولا مانع

من المبالغة في ذلك؛ ففي الأنظمة الشمولية نرى صورة القائد البطل المغوار منقذ الأمة معلقة في أكبر الشوارع، كما في أصغرها وفي البيوت، وعلى السيارات الحكومية والخاصة، وعلى الكتب والدفاتر المدرسية وحتى في المحافِظ الشخصية يجب أن يكون للطاغية حضور دائم، فأنَّى ولَّيْتَ وجهك تجد أمامك نصبًا كبيرًا له أو جدارية عالية لرمز يرتبط به أو صورًا وملصقات تغطي الجدران يظهر فيها بمناسبة ودون مناسبة.

- وظيفة نفسية: فالمستبد يعشق ذاته، ونرجسيته هذه تصل حد الهوس، فكلما كانت الصورة كبيرة وضخمة شعر بوجوده وقُوَّتِه وبالرضى الذاتي عن الأنا المتضخمة، هذه الأنا المتضخمة حد التورُّم تنعكس على تماثيله التي تتوسط تقريبًا جميع المدن والبلدات، فالطاغية يسعى لتخليد شخصه من خلال الانتشار الهائل لصوره وتماثيله وهي تمنحه الثقة بالنفس والشعور بالعظمة؛ لذلك لا يتردد بأمر أتباعه بأن يقوموا بتنظيم مهرجانات أو نشاطات خاصة للاحتفال بالصورة.

تختلف صورة الطاغية من فترة لأخرى بحسب المراد منها، فتارة يكون الطاغية رجل علم مثقف، حاملًا معه كتابًا، وتارةً يكون رجلًا محاربًا حاملًا سلاحًا أو لابسًا الكاكي، ولا بُدَّ أن يكون هناك صورة حيث يظهر فيها باللِّباس الفلكلوري؛ فهو رجل آتٍ من أغوار التراث الشعبي ليقول للناس إنه رجل ينتمي لأعمق الطبقات الشعبية وأكثرها تعبيرًا عن الأصالة والانتماء والالتصاق بالأرض.

هذه النرجسية المتضخمة يختبئ خلفها إحساسًا بالضآلة والخوف، يحاول الطاغية دائمًا كبتها، وكلما اشتدَّ ضغط المكبوت يأمر أعوانه بتنظيم الفعاليات التي تمجده. يقول (فرويد) في كتابه (قلق في الحضارة)، إنه كلما زاد الخوف عند الطغاة من فنائه ازدادت دوافعه التدميرية ظهورًا، وزاد معها التدابير والإجراءات الوقائية للحيلولة دونها.

- **البروباجندا واللغة:**

بشكل عام في الأنظمة الشمولية لا يوجد شيء اسمه (إعلام)، وإنما نوع من الدعاية الإعلامية الموجهة (بروباجندا)، فجميع وسائل التواصل الجماهيري من صحف وراديو وتلفزيون تخضع بشكل مباشر ومُحكم للطاغية أو أحد أفراد عائلته. وتُعد

البروباجندا الحامل اللغوي للعقيدة.

صحيح أن لكل نظام شمولي، منظومة لغوية خاصة به، ولكن مهما اختلفت هذه المنظومة من نظام لآخر حسب الزمان والمكان، فإنه يمكننا أن نلاحظ ثلاثة قواسم مشتركة:

مصدر إلهام الشعب: في زمن السلم والاستقرار تتركز الدعاية الإعلامية على تمجيد الطاغية والتغنِّي بمنجزاته العظيمة في مجال بناء الوطن والاقتصاد، وغالبًا ما يحاول الطُّغاة ربط أسمائهم بالحدَاثة والتحديث لتأكيد أن الوطن قبل وصولهم المبارك للسلطة كان في عهد الظلمات!! وتكون المهمة الأساسية لوسائل الإعلام هي صناعة صورة استثنائية للطاغية ولنظامه لوضعه فوق مواقع الآخرين من حيث القدرات الفكرية، وتميّز الأداء، وابتكار أو توظيف قصص بطولات خرافية عن بعض الخوارق التي ترتبط ببعض سلوكيات القائد؛ إلى درجة اعتباره مصدر إلهام الشعب في

العلوم والآداب والفنون!! فالطاغية هو الراعي الأول للعلم والعلماء وهو (المعلم الأول)؛ لأنَّ المُعلِّمين هم بُناة الأجيال؛ وهو الطبيب الأول، والمهندس الأول، والفنان الأول، والجندي الأول، والفدائي الأول، والفلاح الأول.

في جميع وسائل الدعاية (صحف، تلفزيون، راديو) يكون التركيز على الوحدة الوطنية والتلاحُم بين القيادة والقاعدة الشعبية والصمود والتصدي، وقد ترفدها مفاهيم تتقدم أو تتراجع حسب السياق التاريخي، كالاشتراكية والتقدمية والازدهار الاقتصادي والعلمي التي تعيشه البلاد بفضل حِكْمة وذكاء الطاغية.

طبعًا لا يخفي على أحد أن الإعلام في الأنظمة الشمولية لن يكون إلا إعلامًا منفصلًا عن الواقع على شاكلة الطاغية، فغالبًا ما تكون الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية متغيرة عن الواقع الملموس تمامًا.

ضمان استقرار الأمة: في زمن الاضطرابات السياسية والثورات ومع أول هزَّة سياسية تختفي عبارات الوحدة الوطنية، والكبرياء الوطني، وعظمة الشعب الحضاري العريق الذي يرأسه القائد العظيم لتحلَّ مكانها عبارات تجسد حالة الانقسام والفتنة والطائفية، وتتحول (البروباجندا) إلى نوع من التجييش والتخويف من المستقبل والتهديد والمقايضة إما القبول بواقع الاستبداد

والعبودية وإما الفوضى والخراب. ابتزاز الشعب بالأمن، مقابل تخليه عن مطلْب الحرية هو المحرك الأساسي لإعلام الأنظمة المستبدة حين تثور عليها شعوبها. وتحاول (بروباجندا) الأنظمة الشمولية تصوير شعوبها على أنها قاصِرَة ومتخلفة همجيَّة غير قادرة على قيادة نفسها (شعوب لا تعرف ما الحرية ولا تستحقها)؛ وهي بحاجة دائمًا لحكم الطاغية القوي لضبطها ووضعها على الطريق الصحيح، وإلا سيكون مصيرها الضياع. وهكذا تنتشر قصص العصابات المُسلَّحة والخطف والاغتصاب، والخبز المسموم، والمشروبات المسمومة، ليس فقط من أجل إثارة البلبلة وتضييع الحقيقة وحسب، بل من أجل تأجيج المخاوف من المجهول، واستنفار الهويات العرقيَّة أو الطائفية المضمرة. فالخوف والهلَع يُحرِّك غريزة البقاء، ويستنفر الشعور الجمعي القطيعي للدفاع

عن (نحن) ضد (هُم)، ومن أفضل من النظام الذي نعرفه للدفاع عن هذه ال(نحن) المُهدَّدة بالإبادة في حالة رحيله.

عدو، مؤامرة خيانة: سواء في زمن الاستقرار أو الاضطرابات السياسية هناك ثلاثة مصطلحات مُستخدمة بشكل يومي في وسائل إعلام الأنظمة الشمولية: عدو، مؤامرة، خيانة. فمن خصائص الأنظمة الشمولية أنها تفتعل الأزمات، وتخلق أجواء متوترة ملائمة لإثارة الحروب مع أعداء خارجيين؛ فلكل نظام شمولي عدوه الخارجي، والمهمة الأولى له هي مقاومة هذا العدو، وأي مطالبة بحقوق الإنسان والعدالة وتحسين الأوضاع المعيشية هي مؤامرة المقصود منها إضاعة الوقت والجهد. في مثل هذه الأجواء يجد الطاغية مجالًا مناسبًا لممارسة عنفه والقتل دون حسيب أو رقيب (ميول سيكوباتية) ولإرضاء عُقَدِه الاستعراضية القيادية والخطابية. تاريخ الطغاة يشهد بحقيقة هذه الحالة الحربية التي يضع فيها الطاغية شعبه. (بروباجندا) الأنظمة الشمولية لا تُفْرَض دائمًا بالقوة؛ فاللغة الحاملة للعقيدة ومصطلحاتها تدخل في الاستعمال الشعبي والجماهيري حتى لو لم تتبنَّ هذه الجماهير عقيدة النظام. المواطن الذي يشقى من أجل الحفاظ على نفسه وتحسين حالته يتبنى بشكل لا إرادي لغة النظام، ويستخدمها من أجل نجاحه وحماية نفسه.

- **القيادة النرجسية:**

هي أحد أساليب القيادة التي لا يهتم فيها القائد سوى بنفسه.

فتتمركز الأولوية عند هذه الشخصيات حول أنفسها؛ ويكون ذلك بالضرورة على حساب شعوبهم؛ أفراد جماعتهم. ويتميز القائد النرجسي هذا بخصائص نرجسية متمثلة في: الغطرسة والهيمنة والعدائية، ويعد من أساليب القيادة الشائعة. وقد تتراوح النرجسية في أي مكان بين كونها أمرًا صحيًّا أو مدمرًا. ويرى النقاد أن القيادة النرجسية -وبخاصة المدمرة- تكون مدفوعةً بصفات من الغطرسة المتعنتة، والانشغال بالذات، والحاجة الشخصية الأنانية للحصول على النفوذ والإعجاب.

الفصل الثاني الميغالومانيا

الاضطراب المشترك بين المستبدين

بشكل عام كل طاغية مُصاب حتْمًا بمرض العظمة (ميغالومانيا)، فهو يختزل كل شيء في شخصيته، ويرى العالم من خلالها فقط، هو المركز وكل ما يدور حوله ينطلق من وجوده، يعيش الطُّغاة في عالمهم الخاص متقوقعين على مجدهم الذاتي منفصلين تمامًا عن الواقع.

ما الميغالومانيا؟

الميغالومانيا هي كلمة إغريقية في الأساس، وتُطلَق على جنون العَظَمة وضلالات السيطرة والقوة المفرطة.

يُعَدُّ جنون العظمة من أكثر الاضطرابات العقلية شيوعًا، فالشعور بالقُدرة الخارقة وتوهُّم القوة اللامحدودة واستطاعة فِعْل ما لا يستطيع الآخرون فِعْلَه ليس بغريب على المُصابين بهذا الاضطراب العقلي.

وقد يبدو المصابُ ظاهريًّا سليمًا من حيث القدرة العقلية والاستدلال، غير أنه يبني استدلالاته على أوهام وحوادث غير واقعية، وتجدر الإشارة إلى أن أول من تكلم عن هذا المرض هو العالم الألماني (ريتشارد فون كرافت إيبنج) سنة 1879، ويخلط الكثير من الناس بين جنون العظمة والبارانويا، وفي الطب النفسي يوجد فرق بين المصطلحين..

البارانويا (paranoia)

البارانويا هي متلازمة الشك والارتياب والتي تعني تفكير المريض الدائم بأنه مضطهد من قِبل الآخرين، وأنه دائمًا في خطر متلاحق ممن هم حوله، لهذا تجده دائم الارتياب والقلق والشك في الآخرين.

أما.. جنون العظمة (delusion of grandiosity)

فهو اضطراب عقلي يجعل صاحبه دائم الاعتقاد بأنه خارق للعادة، وأن لديه مِن القدرات الخارقة ما تجعله فوق الجميع، وقد تُوجد أدلة قاطعة على خلاف ذلك، ولكن مع هذا هو لا يستطيع

التفرقة بين الحقيقي والمُزيَّف، ولا يعتقد إلا في قدراته الخارقة للطبيعة. والجدير بالذكر هنا أن جُنون العظمة لا يعتبر مرضًا مستقلًّا بذاته، ولكنه غالبًا ما يعد جزءًا من أمراض ذهنية أخرى مثل:

- الشيزوفرينيا.

- اضطراب ثنائي القطب.

- مرض الخرف في كبار السن.

- الاكتئاب الحاد المصاحب ببعض الأعراض الذهانية.

ولكن هل تُستخدم كلمة جنون العَظَمَة خارج الإطار الطبي؟

استخدام هذه الكلمة بصفة عامة بين الناس أدَّى إلى إطلاقها على بعض الحالات النفسية الأخرى غير الاستخدامات الطبية التي قد تُصاحِب فيها الاعتلال الذهني العقلي؛ فقد يطلق اسم جنون العظمة على أي ردِّ فعل أو سلوك يتسم بالقوة وحب السيطرة، والتي قد تؤدي أسبابها إلى:

الإصابة بعُقدة النقص، وتقمُّص بعض الشخصيات المعاصرة التي تتمثل فيها مشاهد العظمة والسيطرة.

وإعطاء ردود أفعال معاكسة في حال عدم تقدير الشخص وإعطائه صفة أقل من قدراته النفسية.

يكون الشخص المُصاب بجنون العَظَمة كثير الكلام، لا يتوقف عن الحديث وينتقل من موضوع إلى موضوع آخر دون أن يكون هناك رابط بين المواضيع التي يتحدث فيها. ويكون أيضًا كثير الحركة قليل النوم، وقد لا ينام لعِدَّة أيام؛ وهذا الأمر قد يؤدي بالمريض إلى الإجهاد الشديد مما قد

يقود إلى الوفاة في بعض الحالات التي يقوم فيها المريض بالحركة المستمرة دون أخذ قسطٍ من الراحة أو النوم.

ومن أهم أسباب الإصابة بجنون العظمة:

- **أسباب وراثية وأسرية:**

لُوحظ وجود اضطرابات عقلية لدى جميع أُسَر مرضى جنون العظمة، ووجود سلوكيات غير جيدة لدى أفراد هذه الأُسَر. وقد تكون هذه العوامل وراثية ولكن قد تكتسب كذلك من الأسباب: اضطراب الجو الأُسَري، والتسلُّط في الأسرة، والتوترات الزائدة،

وتنشأ البارانويا في بيئة تتصف بالانعزالية؛ مما يجعل الشخصية مهيأة لبناء منظومة هذائية.

- **أسباب عضوية:**

عقاقير تُسبب أعراضًا شبيهة بجنون العظمة مثل الأمفيتامين وبعض أقراص الهلوسة، وبعض هذه العقاقير تؤدي إلى ارتفاع نسبة هرمون الدوبامين في خلايا الدماغ؛ مما يحفز المخ لاستقبال إشارات الاضطراب، وقد تنشأ أيضًا لوجود إعاقة بدنية مثل كف البصر أو شلَل الأطفال أو الصمم. ويلاحظ أن الإعاقة الجزئية أكثر إثارة لأعراض المرض من الإعاقة الكلية.

- **أسباب نفسية:**

صدمة تعرض الفرد لاهتزاز عميق في قِيَمِه، ومثله الإحباط، مواقف الفشل، الصراع النفسي بين رغبات الفرد في إشباع رغباته وخوفه من الفشل في إشباعها. وترى النظرية السلوكية أن جنون العَظَمة ينتج عن تعلُّم خاطئ لبعض العادات السلوكية الخاطئة.

قد يُصيب هذا المرض الأشخاص في أي مرحلة عُمرية. وأحيانًا يأتي هذا المرض لأشخاص ذوي مكانة عِلْمية أو اجتماعية في مجتمعهم، ويجعل الناس مُشوَّشِين بالنسبة له. وربما لأن بعض الناس لا يعرفون المرض فقد يظنون أن هذا الشخص يتعمَّد هذه الادعاءات، وقد يتعرض للإيذاء من قبل

العامة الذين يستشيط بهم الغضب لادعاء شخص ما بأنه نبي أو أنه المهدي المنتظر، أو بأنه عيسى بن مريم. ولا يقتصر الأمر على الادعاء بأمورٍ دينية، ولكن ربما أدَّعى المريض أنه شخصية سياسية كبيرة أو أنه أمير أو ملك أو وزير. وقد حدثت حادثة طريفة في السودان قبل عدة عقود؛ إذ كان هناك تغيير وزاري، وجاء رجل إلى وزارة المالية وهو يرتدي ملابس فخمة، وأخبر الحراس بأنه الوزير الجديد للمالية، وصدَّق الجميع بأنه الوزير الجديد للمالية، وذهب إلى مكتب الوزير وجلس على مقعده. ولكن القضية انتهت بعد وقتٍ قصير حينما جاء الوزير الحقيقي، وأُخِذَ المريض إلى مستشفى الأمراض النفسية.

العلاج الطبي

العلاج الطبي يستخدم فقط لجعل المريض أكثر استجابة للعلاج النفسي، أي أنه يساعدنا على بداية العلاج النفسي، ولكنه لا يحِلُّ محلَّه. وتستخدم المطمئنات العظمى في علاج جنون العظمة،

وأيضًا الصدمات الكهربائية كما تستخدم بعض المستشفيات الأنسولين المُعدَّل.

العلاج النفسي

يُستخدم لتخفيف حِدَّة قلق المريض، وتجديد قُدرته على الاتصال مع الآخرين، ومريض (الميغالومانيا) لا يستجيب للتأثر بالإقناع المنطقي؛ لذا لا يجب أن نضيع الوقت في مناقشات منطقية لديه. ويجب على المعالج أن يكون حريصًا في تعامله مع المريض؛ لأن المُصابَ بجنون العظمة مثقف موسوعي عدواني تجاه الآخرين، والمعالج خصوصًا؛ فهو يجر المعالج إلى موضوع يجهله ليثبت قصوره فتزداد مشاعر العظمة لديه. ويستغرق التحليل النفسي لمريض (الميغالومانيا) وقتًا طويلًا؛ لأن المريض يغرق عادةً في التفاصيل والمواضيع الفرعية إلى أن ينسى الموضوع الأصلي ولا يعود إليه.

العلاج السلوكي

يهدف إلى رفض، وكف المنظومة الهذائية، وتعزيز وتدعيم السلوك التوافقي، وهنا يحدث اهتزاز في تماسك الشخصية في بداية العلاج، ويستخدم في هذه الحالة بعض الفنيات مثل التعزيز

الموجب. ويستخدم في بعض الحالات العلاج بالعمل، والعلاج الاجتماعي، والعلاج الأسري، والعلاج بتعديل البيئة المحيطة كأشكال مساعدة في تطوير شخصية المريض واستمرار تحسُّنِه.

وأخيرًا:

إذا كان جنون العظمة نتيجة مَرَض عقلي، مثل مرض الاضطراب الوجداني ثُنائي القطب، فعندئذٍ يجب إدخال المريض إلى مستشفى نفسي أو قسم نفسي لكي يُعالج المرض المُسبب. فيُعطى المريض أدوية مضادة للذُّهان، وأدوية مهُدئة لكي يستريح من كثرة الحركة، ولا يتعرض للإجهاد، ويؤدي ذلك إلى أمور لا تُحْمَد عُقباها. يجب أن يستمر المريض على العلاج لفترةٍ طويلة. أما إذا كان المريض مُصابًا بالفُصام فيجب أيضًا إدخاله إلى مستشفى أو قسم نفسي للعلاج من مَرَض الفُصام. وكما هو معروف، فعلاج مرض الفصام ليس سهلًا، وترْك مريض الفصام الذي يُعاني ضلالات جنون العَظَمة في الشوارع قد يكون خطرًا يُهدد المواطنين الأبرياء أو أهل المريض.

في جميع الحالات التي يكونُ فيها الشخص يُعاني مرض جنون العَظَمة، فيجب عرضُه على طبيب نفسي لكي يتأكد من خطورة المرض، وتشخيص السبب لهذا السلوك المرضي والذي قد يكون خطيرًا على أشخاص أبرياء.

إن المشوَّهين نفسيًّا يُسيئون اتخاذ القرار، فالسلوكيات المُضربة والشاذة عند مواطن عادي أمر وعند حاكم يتمتع بالقوة والسلطة والموارد أمرٌ آخر تمامًا، فهي لا تُسفر فقط عن نتائج مُضحكة أو هزلية بل إن لها إمكانية في أن تُصبح أمرًا خطيرًا يُفضي إلى كارثة كبرى.

فالعالم يحكمُه الجنونُ، وهذه ليست جُملة خيالية، إنها حقيقة واقعية، فقد اجتمع الكثير من حُكام العالم تحت راية الاضطرابات النفسية والعقلية.

وسوف نعرض بعض النماذج لهؤلاء الحُكَّام، ونتناول أمراضهم وحياتهم.

الفصل الثالث جنون الارتياب (البارانويا) paranoia

هو حالة مَرَضِيَّة ذهنية تتميز باعتقاد باطل راسخ يتشبث به المريض رغم سخافته وقيام الأدلة الموضوعية على عدم صوابه. وتتسم هذاءات المريض بالمنطق، لكنه منطق لا يقوم على أساس صحيح.

وهو اضطراب عقلي ينمو بشكل تدريجي حتى يصير مزمنًا، ويتميز بنظام مُعقَّد يبدو داخليًّا منطقيًّا، ويتضمن هذاءات الاضطهاد، والشك والارتياب فيُسئ المريض فهم أية ملاحظة أو إشارة أو عمل يصدر عن الآخرين، ويُفسِّره على أنه ازدراء به، ويدفعه ذلك إلى البحث عن أسلوب لتعويض ذلك، فيتخيل أنه عظيم، وأنه عليم بكل شيء.

والمعنى العام أن (البارانويا) مرَض عقلي يتمثل في هذاءات عقلية، قوامها الاضطهاد من نوع معين يُؤيِّده المريض، ويُدافع عنه بطريقة منظمة في حماس وإصرار. وتشغل هذه التوهمات جزءًا صغيرًا أو كبيرًا من عقله محاولة أن تتوسع لتشمل العقل، وترتبط هذه التوهُّمات، وتصبح في انسجام مع موضوعها، وتُكون هلاوس سمعية أو صوتية أو بصرية. وقد يُصيب جنون الارتياب مجتمعات بكاملها؛ فهو مَرَضٌ جمْعي أيضًا. هناك فرق بين مريض البارنوايا وبين المهووس؛ فالأول تكون أوهامه منظمةً ومؤكدة وأفكاره ثابتة ودائمة ويكون قلقًا. أما المهووس فتكون أوهامُه عابرةً وأفكاره مُحلّقةً، ويكون صاخبًا مُتهيجًا غير مستقر.

الأعراض والعلامات

المريض بالبارانويا يشك دائمًا في نوايا الآخرين، ويرتاب في دوافعهم، ويعتقد دائمًا أن الناس لا يقومون بتقديم خِدماتهم أو مساعداتهم إلا لغاية في أنفسهم، فتنصرف عنه الناس، عندئذٍ تزداد شكوكه فيهم وتقوى عنده مشاعر الحِقْد والغضب عليهم، فهو يرى نفسه ضحية لتآمرهم عليه.

وبمرور الوقت تتحول حالته إلى جنون ارتياب اضطهادي، فيعزز ما لديه من اختراعات وهميَّة وما أصابها من إخفاق إلى مضطهديه وكارهي الخير.

وهو يُضخِّم الأمور، ويتصرف بشكل عداوني، فيلجأ إلى

الإسقاط؛ أي بدلًا من أن يعلن كرهه يقول: إن الآخر هو الذي يكرهه. وهو لا يؤمن بالصداقة، فهو دائم الشك، ومن يتودَّد إليه خاسر؛ لأنه سيعتبر تودده فخًّا يريد الآخر أن يوقعه فيه.

وغالبًا ما يعاني المريض أحد أو جميع الأعراض التالية:

- الخوف من حدوث شيء سيئ.

- الظن أن المسئولية تقع على الآخرين.

- الاعتقاد والإيمان المُبالَغ فيه وغير المبني على أُسُس واقعية.

أنواع جنون الارتياب

- **هذاء الاضطهاد**: كأن يعتقد المريضُ أن الناس من حوله يتآمرون عليه ويريدون إلحاق الأذى به عن عمْد.

- **هذاء العَظَمة:** كأن يعتقد المريض أنه شخصية مرموقة بالِغة الأهمية أو النفوذ.

- **هذاء توهُّم المرض**: كأن يعتقد المريض أنهُ مصاب بمرض عضال رغم كل التحاليل والفحوصات التي تثبت له عكس ذلك.

- **هذاء التلميح:** والهمس والغمز ممن حوله؛ إذ يتوهم أن كل ذلك موجه ضده بنية سيئة، مما يدفعه إلى اعتزال الناس.

- **الهذاء السوداوي**: يعتقد المريض في هذه الحالة أن مصائب الناس والكوارث البيئية والحروب، كلها حدثت بسببه؛ أي أنه يشعر بالذنب والإثم؛ لذا يرى أنه يستحق أي عقاب ينزل به.

وبالعودة إلى طفولة الشخص المُصاب بالهذاء، فإننا نرى أنه يتسم بالوحدة والعُزلة الاجتماعية وقِلَّة الأصدقاء، وعدم القدرة على تبادُلِ الثقة والتقلُّب الانفعالي، وعدم الأمن والشك والعِناد، والتبرم والعصبية والحزن. وكلما اقترب الطفل من سِن الشباب تزداد السمات التي كان يتسم بها في طفولته لتصل إلى حدود الأنانية والمبالغة في تصور الأمور وتعقيدها والتذمر والعدوان كما تزداد لديه مشاعر الاضطهاد أو العَظَمَة.

وفي سنوات الرشد تتضح سمات شخصيته أكثر، فنرى مريض البارانويا شخصًا مُتَزَمِّتًا، لا يتسامح في النقد والملاحظة، ويستخف بالآخرين.

الأسباب

جنون الارتياب هو خلِيط مُركَّب من الأفكار والمشاعر، فمن غير الوارد أن يكون وراءه سببٌ مفرد. فمن المرجَّح أن تلعب توليفة من العوامل دورًا في حدوثه:

- الضغط النفسي: قد يكون للضغط النفسي المفاجئ دورٌ مهم جدًّا. فيمكن لفقد العمل أو انتهاء علاقة أن يجعل الفرد يشعر بعزلة شديدة؛ ما يجعله ينطوي على ذاته ويشعر بعدم الاطمئنان، وبوقوعه تحت تهديدٍ دائم. وتتضمَّن خيانة أو ألمًا عاطفيًّا، مثل الاضطهاد في مكان العمل أو السطو على المنزل، يمكنها أيضًا أن تكون أساس الأفكار الارتيابية التي يمكن أن تتطوَّر لاحقًا إلى زور.

- البيئة الخارجية: رأى بعض الباحثين أنَّ الأفكار الارتيابية تكون أكثر شيوعًا في البيئة المدنية أو في المجتمعات التي يُشعَر فيها بالعُزلة بدل الترابط. ويمكن أيضًا للتقارير الإعلامية عن الجرائم والإرهاب والعنف والمسائل الاجتماعية الأخرى أن تلعب دورًا في تحفيز أحاسيس الارتياب، كما يمكن لمستويات الكرْب المرتفعة الملازمة لنمط الحياة العصري أن يضع الناس تحت خطرٍ أكبر.

- القلق والاكتئاب: يعمل القلق والاكتئاب كمحفِّزيْنِ للأفكار الارتيابية عند بعض الأشخاص؛ فالشخص المُصاب بالقلق يكون عصبيًّا على الأغلب وأكثر فَزَعًا من المعتاد. يُقلِّل الاكتئاب تقدير الذات، ويجعل الشخص يخطئ في تفسير نوايا الآخرين تجاهه.

- **النوم السيئ:** النوم السيئ أيضًا له وقعٌ كبير على الزور؛ فالمخاوف والقلق يتناميان في آخر الليل عندما يكون الشخص بمفرده مع أفكاره، والشعور بالتعب الدائم يمكن أن يحفز الإحساس بعدم الأمان.

- **تأثير العقاقير والكحول:** تشكل المواد الكيماوية عاملًا أحيانًا؛ فالمخدرات والعقاقير مثل الكوكايين والحشيش والكحول وحبوب الهلوسة والـ LCD والأمفيتامين يمكن أن تُحفِّز من نوبات البارانويا كما يمكن لستيروئيدات معينة من التي يتناولها الرياضيون ورافعو الأثقال أن تُحفِّزه أيضًا.

- **تأثيرات الطفولة:** قد يلعب ما حصل في الطفولة دورًا في الزور. فإن جرَّ الشخص للإيمان بأن العالم مكان غير آمِن ألبتة، وأن الناس غير جديرين بالثقة، فهذا سيلعب دورًا في طريقة التفكير بعد الرشد. وإن كانت الطفولة جائرة أو مُهملة فعلى الأرجح أن يشعر

الطفل بالشك والارتياب بالآخرين عند الكِبَر.

- **الأسباب الجسدية:** يرتبط جنون الارتياب بصفته عرضًا بأمراض جسديَّة معيَّنة، مثل داء (هنتنغتون)، وداء (باركنسون)، والسكتة الدماغية، وداء (الزهايمر)، والأشكال الأخرى من الخَرَف. يمكن لنقص السمع أيضًا أن يثير الأفكار الزوريَّة عند بعض الأشخاص.

- اضطراب الجو الأسري وسيادة التسلطية ونقص كفاءة عملية التنشئة الاجتماعية.

- اضطراب نمو الشخصية قبل المرض وعدم نضجها.

- الصراع النفسي بين رغبات الفرد في إشباع دوافعه وخوفه من الفشل في إشباعها لتعارضها مع المعايير الاجتماعية والمثل العليا.

- الإحباط والفشل والإخفاق في معظم مجالات التوافق الاجتماعي والانفعالي في الحياة، والذل والشعور بالنقص وجرح الأنا.

- المشكلات الجنسية وسوء التوافق الجنسي، وتأخر الزواج والحرمان الجنسي.

العلاج

يمكن علاج البارانويا من خلال المسارات والخطوات التالية:

يجب البدء في استخدام العلاج المعرفي عن طريق تعريف المريض بالمنبهات التي ترتبط بالاعتقادات الخاطئة، مثل سلوكيات الناس أو أجهزة الإعلام وغيرها؛ بأن يذكر للمريض أن هذه الأجهزة هي أجهزة عامة، ولا يوجد شخص تسخر له هذه الأجهزة أو هؤلاء الناس حتى لو كان ملكًا، ويجب أن يتعلم المريض إيقاف التفكير في هذا الاتجاه والانشغال بأنشطة أخرى.

كما يُدرَّب المريض على أن يقول لنفسه كلمة (خلل) (Defect) عندما يشاهد أحد العناصر التي يعتقد بأنها تخاطبه مثال: عندما يعتقد بأن حديث أحد الأفراد بجانبه إنما هو حديث مُوجَّه إليه، فإنه يقول لنفسه: «خلل». وكذاك عندما يعتقد بأن التلفزيون يوجه رسالة إليه، وهذا يحدث تشريطًا معرفيًّا سلبيًّا.

وقف التحليلات المُفرطة:

يجب تدريب المريض على وقْف التحليلات المفرطة للمواقف مثل فكرة اشتراك عِدَّة أفراد في السلوك العدائي نحوه؛ لأن الناس أهدافهم متباينة، ولا يتفقون في صف واحد معًا إلا فيما ندر.

يجب تعليم المريض أساليب التوافق مع المجتمع المحلي، مع عدم القيام بسلوكيات تتعارض مع قِيَم ومعايير المجتمع حتى لا يزيد التوتر مع الآخرين.

تقوية المكونات الداخلية:

يجب تقوية المكونات والأفكار الخاصة بالفرد في مواجهة أي أفكار خاطئة يعتقد بأن الآخرين يطلبونها منه، وهذا التثبيت للأفكار الخاصة يحميه من الانجراف نحو التفسير الخاطئ لآراء الآخرين، أي عدم الانتباه لآراء الآخرين وأفكارهم والتركيز على أفكاره وقيمه الخاصة. من الممكن علاج المريض بالهذاء طبيًّا، وأكثر ما يعتمد عليه هو العلاج بالصدمات الكهربائية،

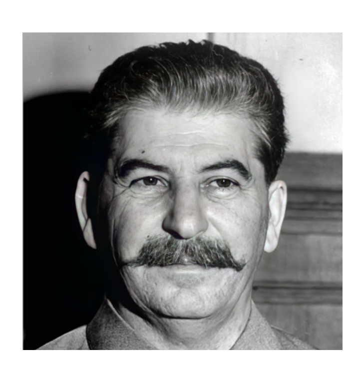
والغاية تخفيف حِدَّة قلق المريض، ومحاولة العمل على تخليصه من الأوهام المسيطِرة عليه، وجعله أكثر طواعية، إلا أنه لا أمل في شفائه تمامًا.

ومع أنه لا يوجد علاج ناجح للبارانويا بشكل قاطع؛ بسبب طبيعة المرض المتوسطة بين الذهان والعصاب، حيث إن المريض غير قادر على تبرير موقفه في الذهان، ولديه الاستبصار والقلق في العصاب، بل هو يعاني ثم يُسقِط على الآخرين الإثم واللوم.

مع هذا فمن الممكن أن يكون العلاج إجراءات تقوية صحة المريض عمومًا وتهدئته سواء كانت دوائية إلى جانب العلاج النفسي الذي يهدف إلى تغيير ظروف معيشة المريض.

جوزيف (ستالين)

«مِن الكافي أن يعلم الشعب أن هناك انتخابات، فمَن يُدلون بأصواتهم لا يُقرِّرون أي شيء لكن مَن يفرزون الأصوات يقررون كل شيء».



تتجول أميرة شابة في أروقة قصر أثري قديم، مُحاطة بأقرباء ومشرفات ومربيات يحبونها، والدها حاكم محبوب لبلد قوي وكبير، وهي الابنة الوحيدة والمُدلَّلة، تعيش في عالم ممتلئ بالأحلام والسحر.

إلا أنها بعد أن تكبر تبدأ في ملاحظة أمور لم تنتبه لها من قبل، فتأتيها جدتها قائلة: «أين روحك؟ لن تعرفي مكانها إلا حين تؤلمك». وتوصيها والدتها وهي تضع أصبعها على قلبها: «هذا هو المكان الذي يجب أن تدفني فيه أسرارك،

فلا مجال للبَوْح بأي شيء داخل أروقة هذا القصر». وقبل أن تحتفل بعيد ميلادها السابع، تنتحر الأُمُّ بإطلاق رصاصة على قلبها من مسدسها. فتنقلب حياتها رأسًا على عقب، ويتغير كل شيء إلى الأبَد. وتقضي عقودًا من عمرها وهي تحاول الهَرَب من رعب ماضيها، ومن الثقل الرهيب لهذا التاريخ المؤسف، وتقول فيما بعد: «لا تستطيع أن تندم على قدرك، مع أنني أشعر بالندم؛ لأن والدتي لم تتزوج نجارًا، قسوة هذا الرجل المسمى أبي قتلت أمي وأحرقت روحي».

تلك الأميرة هي نفسها من روت اللحظات الأخيرة الأكثر رعبًا في حياة رجل من أكثر الطغاة شرًّا على مَرِّ التاريخ.

كانت (سفيتلانا) تجلس مُبهمة الوجه، شاردة بعض الشيء، تنفست الصعداء ثم قالت: كانت سكرات الموت رهيبة، وقد اختنق حرفيًّا حتى تُوفي ونحن نراقب، فيما بدا أنها اللحظات الأخيرة، فتح عينيه فجأة، وألقى نظرة على كل مَنْ في الغرفة. بدت نظرتُه مُخيفة أو مجنونة أو ربما غاضبة وممتلئة خوفًا من الموت، ومالت وجوه الأطباء غير المألوفة فوقه. جالت النظرة على الجميع في ثانية ثم حدث شيء مُبهم ومرعب، لا يمكن أن أنساه أو أفهمه، رفع فجأة يده اليسرى كأنه يشير إلى شيء في الأعلى، وأطلق لعنة علينا جميعًا كانت الإشارة غامضة ومتوعدة، ولم يستطع أحد معرفة مَنْ أو ماذا تستهدف في اللحظة الآتية. بعد جهد ظهر جليًّا مدى صعوبته. أخيرًا حَرَّرَت الروح نفسها من الجسد.

هذه كانت اللحظات الأخيرة في حياة (جوزيف ستالين).

يمكن وصف سنوات حياة (ستالين) الأولى بأوصاف كثيرة، لكن السعادة والأمان العائلي ليست إحداها، وُلد (جوزيف بيساريو جوغاشفيلي) في 18 ديسمبر 1878م في مدينة جوري شرق جورجيا، والتي كانت في ذلك الوقت جُزءًا من الإمبراطورية الروسية، ولم يكن المكان ولا الزمان الذي وُلد فيهما (ستالين) حينها هما الأفضل في العالم، بل على النقيض من ذلك، فقد وُلد (ستالين) الابن الثالث لوالدين فَقَدَا طفليهما السابقين بسبب الأمراض، الأب الذي امتهن صناعة الأحذية والأم كانت تعمل فلاحة وفي بعض الأحيان في غسل الملابس.

كان (جوزيف) طفلًا ضعيفًا، أُصيب في عُمْر السابعة بمرض الجُدَرِيِّ، مما ترك ندوبًا على وجهه.

وبعد عدة سنوات، أُصيب في حادثة سيارة أحدثت تَشَوُّهًا طفيفًا في ذراعه، كان هذا التشوُّه ناتجًا عن تسمم الدم من إصابته في الحادث. عاملَهُ أطفالُ القرية الآخرون بقسوة؛ مما غرس فيه شعورًا بـ(عُقدة النقص).

من أجل ذلك سعى (جوزيف) لتحقيق المجد، وانتزاع احترام الآخرين عنوةً، كما أنَّهُ اتخذ انطباعًا قاسيًا تجاه كلِّ من يتخطاه.

كان النظام الاجتماعي السائد وقتها في الإمبراطورية

الروسية هو النظام الإقطاعي، وفي ظله عاش الملايين من رعايا الإمبراطورية، ومن ضمنهم عائلة (ستالين) في وضعٍ يُشبه العبودية المُقنَّنة، حيث كان الفلاحون يُجبَرون على العمل في أراضي كبار الملاك بمقابل زهيد، وأحيانًا من أجل الغذاء فحسب، وبطبيعة الحال كانت ظروف هؤلاء الفلاحين وعائلاتهم في غاية السوء، وخاصةً من الناحية الصحية، فقد كانت معدلات الوفاة عالية في صفوفهم، وأما منزل عائلة (جوغاشفيلي) نفسه، فكانت الأمور فيه أكثر سوءًا؛ حيث كان (بيساريو) صانع الأحذية مُدْمِنًا للكحول، دائم التعدي بالضرب والإهانات على زوجته وابنه (جوزيف)؛ مما ترتب عليه زيادة شعوره بتلك العُقْدة النفسية التي كانت ملازمة له منذ صغره، وسيطرت عليه حالة من اضطراب المزاج. أصبح ذا سلوكيات حادة وعنيفة يتشاجر مع الجميع دون أدنى سبب.

استمرَّت حالتُه من سيئ إلى أسوأ، هذا إلى أن قرَّر الأب السِّكِّير في يوم ما أن يهجر عائلته، ويرحل حارمًا إياهم بذلك من مصدر إعالتهم الرئيسي. وعندما بلغ (جوزيف) سن الحادية عشرة أرسلته والدته للمدرسة الأرثوذكسية على أمل أن يُصبح كاهنًا، وهناك بدأ (جوزيف) في كتابة الشعر وقراءة كتابات (هوجو) و(ماركس)، فلم يستطع مواصلة الدراسة لعدم قُدرتِه على دفع المصروفات المدرسية.

بعد أن تخلَّى عن دراسته الدينية، حصل (جوزيف) على عِدَّة وظائف، من كاتب في مركز للأرصاد الجوية في تبليسي عاصمة جورجيا، حيث قام بتحريض العمال على الإضراب لزيادة الأجور، ولكنه ما لبث أن لفت انتباه شرطة القيصر السِّريَّة فهرب غربًا ليحصل على وظيفة عامل

في مصفاة للنفط، وهناك كرَّر (جوزيف) ما فعله في تبليسي ولكن الشرطة السرية قبضت عليه هذه المرة، ونُفِي إلى سيبيريا، والتي مكث فيها أقل من شهر، حيث تمكن من الهروب والعودة إلى تبليسي، وواصل نشاطاته الثورية ضد القيصر.

كان التحوُّل الكبير التالي في حياة (ستالين) هو انضمامه لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي؛ وهو الحزب الذي سيصبح لاحقًا الحزب البلشفي، بعدما أُعجب بكتابات ثوري متحمس يُدعى (فلاديمير لينين)، وحينها قرَّر (جوزيف جوغاشفيلي) ترك كل شيء والانخراط بشكل كامل في العمل الثوري.

بانتهاء الحرب الأهلية عام 1923م أصبح للشيوعيين البلاشفة([1]) السيطرة المطلقة على البلاد التي أعادوا تسميتها لتصبح (الاتحاد السوفيتي)، وتولى (لينين) رئاسة الدولة الوليدة، غير أن الحفاظ على السلطة أصعب من الحصول عليها، وهي حقيقة لم يستطع الثوري القديم الإفلات منها؛ ففي عام 1922م أُصيب (لينين) بجلطته الأولى نتيجة رصاصة عَجَزَ الأطباءُ عن إزالتها من لوح كتفه قبل عامين، وهي الجلطة التي تركته شبه قعيد في منزله، وأصبح (ستالين) هو صلة (لينين) الوحيدة بالحزب والبلاد، وسرعان ما بدأ (ستالين) في التعبير عن آراء مخالفة لرؤية (لينين) الأصلية في إدارة الاتحاد السوفيتي، حاول (لينين) انتقاد سياسات (ستالين) الجديدة بل إنه قام في آخر أيامه بكتابة رسالة رسمية لقيادة الحزب تُندِّد بـ(ستالين)، وتطالب بعزلِه، غير أن (لينين) لم يعِشْ ليرى رغبته تتحقق؛ حيث أُصيب الرجل الذي أسقطت كلماته القيصر بعِدَّة جلطات متتالية لم يتحملها جسده المرهق ليموت في 21 يناير 1924م.

لم يترك (ستالين) مجالًا لغيره للقيام بأي عمل قد يُهدِّد مخططاته، وبمجرد وفاة (لينين) صدَّر (ستالين) نفسه بأنه تلميذ (لينين) ورفيقه الأشد تمسكًا بمبادئه، وتحت هذا الزعم تحرَّك للإطاحة بمنافسيه على زعامة الاتحاد السوفييتي عن طريق التحالف مع بعضهم، وضمهم إلى صفِّه، والإطاحة بمن يقفُ في طريقه، إما بالرفت من الحزب أو النفي أو القتل، وهكذا انفرد (ستالين) بالسلطة بشكل مُطلق ليبدأ عهد أحد أشد النظم في التاريخ الحديث.

خلال سنوات حُكمِه الأولى بذل (ستالين) جهده من أجل إظهار نفسه في صورة التابع المُخلِص لتعاليم (لينين)، ولكن بمجرد أن تمكن من تعزيز قبضته على السلطة بدأ (ستالين) في تطبيق سياساته الخاصة، هَدَف (ستالين) إلى تحويل الاتحاد السوفيتي إلى قوة اقتصادية عُظمى؛ وهو ما كان يعني بالنسبة له إعادة هيكلة الزراعة والصناعة في البلاد بشكل كامل، ففي قطاع الزراعة أعاد (ستالين) فكرة التعاونيات الزراعية، فأجبر الملايين من المزارعين الروس على الانتقال للعمل في مزارع جماعية في حين تعرض كبار ملاك الأراضي للقتل أو النفي. في نهاية المطاف تسببت

تلك السياسة في حدوث مجاعة كبرى راح ضحيتها الملايين، وخصوصًا في أوكرانيا؛ حيث قضت المجاعة على نحو 10 ملايين أوكراني.

بَدَا لكثير من السوفييت أن الجزء الأسوأ في حكم (ستالين) كان قد مَرَّ، ولكن سريعًا ثبت خطأ هذا الاعتقاد عندما أُغتِيل أبرز منافسي (ستالين) المحتملين على السلطة داخل الحزب وهو (سيرجي كيروف)، وسريعًا قُبِض على زوجة (سيرجي) ووالدته وإعدامهم بتهمة اغتياله، كانت تلك بداية سلسلة طويلة ودموية من حملات الاعتقال والنفي والإعدام عُرفت باسم (التطهير الكبير). خلال تلك الفترة وضع (ستالين) كما فعل مع عمال المصانع حدًّا أدنى للاعتقالات تلتزم به كل مناطق البلاد، مع تشجيع كل منطقة على التفوق على غيرها في عدد الاعتقالات، طالت تلك الاعتقالات جميع الفئات، ولم تنجُ منها حتى قيادات الجيش؛ وهو ما نتج عنه انخفاض عدد القادة الأكْفاء في الجيش السوفييتي؛ الأمر الذي سيظهر أثره بشكل جَلِيٍّ في بداية الحرب العالمية الثانية.

بدأ الغزو الألماني للاتحاد السوفيتي في 22 يونيو 1941م، وفي غضون بضعة أشهر كانت القوات الألمانية على بُعد أربعين كيلومترًا فقط من قلْب موسكو. قبل الحرب لم يكن (ستالين) يتوقَّع مثل هذا الهجوم خصوصًا بعد أن وقَّع معاهدة عدم اعتداء سرية مع (هتلر)، وعندما أصبحت القوات الألمانية على وشك دخول موسكو أُصيب (ستالين) بحالة من الاكتئاب، وقرَّر الانعزال في مكتبه مُتوقِّعًا أن ينقلب عليه قادتُه في أي لحظة، ولكن على عكس ما توقع (ستالين) تقدم إليه كبارُ رجال الحزب طالِبِين منه العودة وقيادة البلاد للنصر.

عاد (ستالين) ليُدِير الحرْب والدفاع ضد ألمانيا النازية، وأعلن أنه لا بد من هزيمة النازيين بأي ثمن، ولو استلزم الأمرُ التضحية بملايين الروس، مصدرًا قراره باعتبار أي جندي ينسحب أو حتى يقع أسيرًا في أيدي الألمان خائنًا يُعْدَم أو يُرسل للعمل في معسكرات للاعتقال، وعندما قبض الألمان على ابن (ستالين) (ياكوف ستالين)، وحاولوا مُبادلته بعدد من الأسرى الألمان، فجاء ردُّ (ستالين) بأنه ليس لديه أبناء بهذا الاسم ليقوم الألمان بإعدام (ياكوف) رميًا بالرصاص. استمرت الحرب لثلاث سنوات، بعد ذلك تمكن خلالها السوفييت من تحقيق الانتصار على الألمان

ولكن بثمنٍ باهظٍ قارب الـ26 مليون قتيل، رغم ذلك فقد خرج الاتحاد السوفيتي من الحرب بوصفه القوة العظمى الوحيدة في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. بعد الحرب تعهَّد (ستالين) بأنه لن يسمح بأن يتعرض الاتحاد السوفيتي لمثل هذا التهديد، مُجدِّدًا فقام بمدِّ نفوذه على دول أوربا الشرقية مطبقًا فيها نفس السياسات الشمولية التي نفذها في الاتحاد السوفيتي عن طريق مجموعة من الحكومات الموالية له ليُأجج بذلك الصراع الطويل المعروف بالحرب الباردة.

ازدادت شعبية (ستالين) في الاتحاد السوفيتي بشكل كبير بعد الحرب، لكن رغم ذلك فقد زاد من ارتياب (ستالين)، وظهرت لديه حالة من جنون الارتياب، وسيطرت عليه خواطر تتعلق بالاضطهاد والتهديد والتآمُر، ولعل ذلك كان دافع (ستالين) في الانتقام من شعبه وقتلهم بهذه البشاعة، وقد كانت هذه الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية ثابتة لديه بحيث لا يمكن لأي شيء بما في ذلك الأدلة المضادة أن تقنع (ستالين) بأن ما يعتقده أو يشعر به غير صحيح.

ومن أغْرب القرارات التي اتخذها أنه منع أي شخص من دخول غرفته الخاصة وإلا سيُعْدَم، وليختبر ذلك، صرخ ذات يوم من داخل غرفته ليقتحم حراسة الغرفة ظنًّا منهم بأنه ثمة محاولة لاغتياله، لكنهم فُوجِئوا به واقفًا بهدوء في منتصف الغرفة ليصدر بعدها قرار بإعدامهم بسبب اقتحامهم الغرفة.

وعادتْ حملات التطهير مرة أخرى، واعتُقل ملايين الجنود العائدين من الحرب بالإضافة إلى قادتهم خوفًا من أن يُشكِّلوا نواة لأي انقلاب عسكري محتمل ضد حكم (ستالين). وفي بدايات عام 1953م بدأ (ستالين) في التخطيط لحملة تطهيرية كبرى أوسع نطاقًا من سابقتها، وهذه المرة قرَّرَ

البدء بمجموعة من الأطباء الكبار كان معظمهم يهودًا في موسكو، وأُعِدَّتْ قوائم طويلة من الأسماء تمهيدًا للبدْء في حملة الاعتقالات، ولكن لم يتسنَّ لـ(ستالين) التوقيع على هذه القوائم قط؛ ففي الأول من مارس 1953م سقط (ستالين) في غيبوبة عميقة نتيجة إصابته بنزيف دماغي، ورغم أن حارسَيه الشخصيين استمعا إلى صوت ارتطام جسده بالأرض؛ فإن أيًّا منهما لم يجرُؤ على اقتحام غرفة الزعيم ليظل جسد (ستالين) ممددًا على الأرض طوال الليل.

وخلال الأيام التالية افتقد مساعدو (ستالين) إيجاد طبيب كفْء لم يُعتقل بعد لتكون آخر أعمال (ستالين) واحدة من أسباب موته. وفي 5 مارس 1953م، وبعد أن استفاق من غيبوبته لعدة دقائق، أغلق الرجل الحديدي عينيه للمرة الأخيرة. إن حياة (ستالين) وموته ممتلئة بعشرات القصص الأخرى، وتظل سيرته الطويلة حقلًا خصبًا ومستمرًّا للدراسة والجدَل حول رجل استطاع حَفْر اسمه في التاريخ بالعرق والنار والدم والكثير من الهلاوس المرضية.

الفصل الرابع عُقدة الدونية (inferiority complex)

تعني عُقدة النقص شعور المرء المستمر بأنه أقل شأنًا من الآخرين، أو بأنه ليس شخصًا جيدًا بما يكفي مقارنةً بمن حوله. ويمكن أن ينجُم هذا الشعور عن سبب معين منطقي أو يمكن الشعور به دون وجود سبب مُحدَّد.

أسباب عُقْدة النَّقْص:

عقدة النقص تحدث عند الفرد عند مضاعفة وتكثيف مشاعر النقص عنده عن طريق الإحباط. وقد يضع الفرد سبب إحساسه بالنقص على أسباب مختلفة من الحياة مثل الجنس، والعِرق، والأسرة، والطبقة الاجتماعية والتوجه الجنسي، والصحة العقلية، والمظهر الجسدي، أو أي سمة شخصية يشعر الفرد بأنها غير متوفرة لديه. ويتعرض الفرْد لعُقدة النقص فقط عندما يواجه مهمة أو مشكلة في الحياة لا يشعرون بأنهم قادرون على حلها أو إتقانها.

تظهر على الشخص الذي يعاني عُقدة النقص العديد من العلامات، ومن أبرزها:

- **الحساسية المفرطة تجاه آراء الآخرين:**

حيثُ يشعر الشخص بالاستياء الكبير إذا عَلِم أن الآخرين يتحدثون عنه، أو قد يفرط في التفكير بما يمكن أن يُفكِّر فيه الآخرون تجاهه، ويشعر الشخص بقلة الثقة بالنفس في حال قام شخص ما بالتعليق عليه أو على تصرفاته، مهما كان هذا التعليق بسيطًا، والاستمرار بالتفكير بالأمر لأسابيع وأيام.

- **وضع الشخص احتياجاته ضمن آخر الاهتمامات:**

عندما يشعر الشخص بأنه أقل شأنًا من الآخرين، فإنه لا يضع احتياجاته الأساسية ضمن أولويات اهتماماته؛ وذلك لأنه يشعر بالانتقاص، وبأنه أقل قيمة وأهمية مقارنةً مع الآخرين، بحيث يشعر بأن الآخرين يجب أن يكونوا في منزلة أعلى من منزلته، وبأن تلبية احتياجاتهم أهم من تلبية احتياجاته الشخصية.

• عدم تحمُّل النقد البنَّاء:

من الطبيعي أن يتعرَّض أيُّ شخصٍ للنقد البنَّاء، لكن إن كان هذا

النقد البناء يسبب للشخص الإحباط والاستياء لأسابيع، فلا يُعدُّ هذا من الأمور الجيدة. فالنقد البناء يُعدُّ من الأمور الضرورية لأي شخص، لكن من يعاني عُقدة النقص يشعر بالخجل من أي نصيحة صغيرة تُوجَّه إليه.

• الشعور بالنشوة والسعادة العارمة عند التعرُّض للمديح:

يشعر الشخص الذي يعاني عُقدة النقص بالسعادة الشديدة، ويمتلك شعورًا رائعًا تجاه ذاته عندما يمدحه شخص ما. قد تظن أن هذا الأمر طبيعي يشعر به جميع الأشخاص؛ فالجميع يحبون أن يُمدحوا، لكن تبدأ المشكلة عندما يبدأ الشخص بالاعتماد بشكل أساسي في كل أمور حياته على تلقي المديح من الآخرين، بل والشعور بالاستياء إذا لم يحصل عليه.

• الإفراط في المماطلة والتأجيل:

إذا كان الشخص يواجه صُعوبة في البَدْء بأي مشروع أو إتمام أي مهمة، أو أنه يستمر في تأجيل المهام إلى الغد أو بعد غدٍ، ويفتقر للحماس للقيام بأي أمْر، فقد يعاني عُقْدة النقص؛ وذلك لأنه يشعر بالخوف من أن أي أمْر يقوم به لن يكون ذا أهمية، ولن يكون بالمستوى الجيد؛ لذا فما الفائدة من البدْء به من الأساس.

• الانعزال عن المجتمع:

لا يفضل من يعاني عُقدة النقص الوجود حول الآخرين، ويُفضِّل الانعزال عن المجتمع؛ لأنه لا يريد سماع ما قد يقوله الآخرون عنه؛ ولأنه يشعر باستمرار بأنه أقل منهم. كما قد يخاف الشخص من أنه يمكن للآخرين أن يكتشفوا أنه ليس كفئًا بما يكفي إذا وُجِد بالقرب منهم؛ لذا يُفضل البقاء وحدَهُ.

- **محاولة اكتشاف أخطاء الآخرين والتركيز عليها:**

يمتلك مَنْ يعاني عُقدة النقص نظرة ثاقبة فيما يتعلق بأخطاء الآخرين وذلك لأنه يعرف أخطاءه جيدًا، بل وقد يحاول البحث عن أي خطأ أو زلة قد يرتكبها الآخر من أجل إبعاد النظرات عن أخطائه، ولأنه لا يمتلك شعورًا بالكفاءة تجاه ذاته فهو لا يكترث لما قد يشعره الآخرون تجاه أنفسهم. بل وقد يشعر بتحسن كبير تجاه ذاته في حال شعر الآخر بالسوء تجاه نفسه.

بعض النصائح للتغلب على الشعور بعُقدة النقص:

توقَّفْ عن مقارنة نفسك بمن حوْلَك، وبدلًا من مقارنة نفسك بالآخرين، حاول مقارنة أفعالك بالأحلام التي ترغب في تحقيقها.

حاول أن تبحث عن السبب الدفين الذي يجعلك تشعر هكذا تجاه نفسك، فقد يكون السبب صدمة عاطفية تعرَّضت لها في السابق؛ لذا يتوجب عليك نسيان الماضي والمُضي قدمًا.

احرص على أن تكون أفكارك إيجابية تساعدك على التقدم والتحسن في حياتك، واترك أفكارك السلبية تجاه ذاتك.

حاول أن تتقبل ذاتك كما هي، ولا تفكر في الأمور التي لا يمكن لك تغييرها في حياتك وفكِّر في الأمور الجيدة التي تمتلكها.

ابتعد عن السعي إلى المثالية في كل شيء، فلا يوجد شخص كامل، وكل شخص يمتلك نواقصَ وعيوبًا لا يمكن له تغييرها.

خاطِبْ ذاتك دائمًا بعبارات إيجابية وبنَّاءة، وابتعدْ عن انتقاد الذات باستمرار.

أدولف هتلر

«إذا هاجمتني سأرفع قبعتي احترامًا لشجاعتك، ولكن تأكد أنني سأضعها فوق قبرك».



اللحظات الأخيرة!

في الساعات الأولى من الليل، وتحت قصْف قوات الحلفاء المتواصل، يوجد (الفوهرر) في عرينه السِّرِّي تحت الأرض ويصرخ قائلًا:

«لقد كان أمرًا، لقد كان أمرًا أيها الملايين! كيف يمكن لكم عصيان أوامري أنا؟!

الكل يكذب عليَّ، لا أحد بجواري مُطلقًا، أنا بمفردي ومحاط بمجموعة من الجنرالات الخونة والجبناء! عاجزين عن مساعدتي، ملاعين! لا فائدة منهم غير إيقافي عن تحقيق أحلامي.

كان عليَّ شنقُهم جميعًا كما فعل (ستالين) مع جنرالاته، أغبياء! أنا لم أذهب إلى أي أكاديمية حربية مطلقًا، واستطعت أنا بمفردي غزو قارة أوربا بأكملها، أوربا كلها خضعت لسيطرتي، أيها الخونة.

لقد خسرت الحرب، انتهى الأمر وأنتم السبب، لكنهم لن يحلموا

بأن يقبضوا عليَّ، ولن أترك برلين وأهرب، أهون عليَّ أن أطلق الرصاص على نفسي من أن يقبضوا عليَّ».

تلك كانت آخر كلمات (الفوهرر).

إذا كنت تريد التعمُّق في سيرة القائد النازي (أدولف هتلر)، عليك تنحية المنطق جانبًا، ورفع سقف توقعاتك قدْر المستطاع؛ فالاستثنائية بكل أحوالها تنطبق عليه، والخيال مطلوب لاستيعاب هذا الكم من المتناقضات في حياته.

تلك الشخصية التي أثارت حولها الجَدَل في حياتها وفي مماتِها.

وُلد (هتلر) في 20 أبريل من عام 1889م في قرية ريفية بسيطة بدولة النمسا، لأب قاسٍ يُدعى (ألويس هتلر) يعمل موظفًا للجمارك، وأُم تُدعى (كارلا) تعلَّق بها كثيرًا، ولكنها تُوفيت في عام 1908م، وترك أثر وفاتها في قلبه جرحًا عميقًا وتغييرًا جذريًّا في جوانبه النفسية.

الطفولة المُضطربة هي الوصف الطبيعي لما عاشه (هتلر) في صِغرِه مع والده حاد الطباع مع ابنه وزوجته، حتى إن (هتلر) نفسه صرح بأنه في صباه كان يتعرَّض عادةً للضرب من قبل أبيه، وبعدها بسنوات تحدَّث إلى مدير أعماله قائلًا: «عقدت - حينئذٍ - العزم على ألا أبكي مرة أخرى عندما ينهال عليَّ والدي بالسوط. وبعد ذلك بأيام سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الاختبار. أما والدتي فقد وقفت في رُعْب تحتمي وراء الباب، وأنا أخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال على مؤخرتي».

بعد ذلك أحصى أدولف الضربات التي تلقاها من والده. قال أدولف لوالدته بفخر: «ضربني أبي 32 مرة ولم أبْكِ».

كان يقوم بحبسه في غرفة صغيرة مظلمة، وَلَّدت بداخله فوبيا الخوف من الأماكن المغلقة، كل تلك الأمور ستصنع من ذلك الطفل شخصية غير سوِيَّة حتمًا فنشأ مضطرب الشخصية.

(هتلر) كان يحلم بأن يُصبح رسَّامًا، ويعمل في بيع لوحاته الفنية في شوارع فيينا بالنمسا، وحاول الالتحاق بكلية الفنون الجميلة، ولكن سرعان ما رُفض طلبه، وانتهت أحلامُه الوردية ليتحوَّل عبر

سلسلة من التحركات والتخبطات النفسية؛ وكانت أعظم الاضطرابات التي تكوَّنت في شخصيته والتي شكَّلت فارقًا في حياته وقادته إلى كل الاضطرابات التي اتسمت بها تلك الشخصية

اضطراب أو عُقدة النقص والشعور بالدونية؛ وهو شعور مرضي يُصيب صاحبَه بقلق وتوتر مستمر، وقد يبحث عن أي وسيلة تجعله في مكانة متقدمة لعلاج شعوره بالنقص، حتى لو كانت الطرق غير مشروعة ومؤذية للآخرين.

تلك كانت نُقطة فاصلة في حياته بعدما برهن له كل شيء حوله بأنه لا يصلح لشيء، وزادت التخبطات لديه أكثر ما بين مشاركته كونه جنديًّا مرسالًا في الحرب العالمية الأولى التي خسرتها ألمانيا، والتي شكَّلت كُرهه الشديد لليهود، وسجنه مدة طويلة سياسيًّا، وكتابة سيرته الذاتية في كتابه الشهير (كفاحي)، وتوليه منصب المستشار الأول ورئيس دولة ألمانيا، إلى ذلك الشخص الذي يعرفه الجميع؛ قاتل وسفَّاح دموي ألقى بالجميع في وَحْل حرب عالمية ثانية لمجرد إرضاء هوَسِه وجنون العظمة لديه، ونزعته النرجسية في فرْض سيطرته وسيطرة الجنس الآري على الأرض.

شخصية (أدولف هتلر).. جنون ونرجسية مطلقة

يمكننا تصنيف شخصية (الفوهرر) بأنها شخصية (العقل المُدبِّر) أو (المهندس المعماري) أو (المخطط البارع)، أو ما يُعرَف في علم النفس الحديث بـ(INTJ 3 wing 4)، أو شخصية العقل المُدبِّر؛ وهي شخصية تحليلية وقادرة على قراءة الآخرين، مُصمِّمة وقائدة بالطبيعة. كونها متحفظة تُفضل أن تبقى في الخلفية بعيدًا عن الواجهة ومنها تقود الآخرين. ويمتلك العقل المُدبِّر قدرة على التخطيط الإستراتيجي، وفي الغالب يكون مُطَّلعًا بشكل كبير وقادِر على التكيف مع الظروف التي يمُرُّ بها. وهي الشخصية التي تتميز بالقُدْرة على تحويل الأفكار من نظريات إلى الواقع يمكن تطبيقُه.

يتوقع العقل المُدبِّر الكمال في نفسه، وكذلك من الآخرين. لا يمانع مِن تولِّي الآخرين مسئولية قيادته ما دام الآخر كفئًا وقادرًا. ويمكن وصف العقل المدبر بأنه ذو شخصية حاسمة، متفتح العقل، يقِظ، عملي ونظري. ميوله الشخصية: انطوائي، حدسي، عقلاني، وصارم.

(هتلر) لم يكن من نوعية الجنود أو المحاربين الذين يقفون على الخطوط الأمامية ويستنزفون طاقتك في تنفيذ الأوامر؛ لا، شخصية (هتلر) ذات النزعة النرجسية من النوعية الانطوائية التي تشحن طاقتها بمفردها، بعيدًا عن تشتيت ذهنه وفكره في مهاترات ونقاشات مع غيره، فالرأي رأيه أولًا وأخيرًا، وهو من نوعية

الأشخاص الجادين ذوي التفكير والتخطيط بعيد المدى.

الحدس وسُرعة البديهة: لم يكن (أدولف هتلر) مُتحدثًا لبقًا فحسب، بل كان ذا بداهة ومهارة عالية في تشكيل الكلمات وإلقاء الخطابات ذات الشعارات الرنانة، التي تعمل من أجل تحقيق غاياته في السيطرة على مفاتيح الحكم في ألمانيا، وذا قُدرة مذهلة على الإقناع والتأثير في عامة الشعب لتنفيذ مخططاته.

التفكير والتخطيط مثل الآلة تمامًا، بلا أدنى درجة من درجات المشاعر الإنسانية أو التعاطف، كان (هتلر) بارعًا في الفهم والتلاعب بما حوله سواء كانوا أصدقاء أو أعداء، من نوعية الأشخاص الذين يستخدمون العقل والمنطق قبل العاطفة، كان قاسيًا وجافًّا في تعاملاته، وفي نفس الوقت يرسم أمامك ابتسامة عريضة وكاريزما متقنة ليجعلك تقع في فخ نرجسيته للوصول إلى هدفه.

الحكم المنطقي: المتتبع لسيرة (هتلر) التصاعدية في سُلَّم القلم السياسي، سيجد أن (الفوهرر) كان يدرس كل خطوة يتخذها بحِرَفيَّة متقنة؛ بدءًا من تنظيمه لخطابات الحزب النازي، وحتى وصوله لسُدة الحكم وتعيينه مستشارًا للدولة.

تلك النوعية من الأشخاص لديها خطط قصيرة وطويلة المدى يسعون إلى تحقيقها بالمنطق وبتأنٍّ شديد، ويمتازون بالانضباط والتنظيم.

هل كان (هتلر) حقًّا نرجسيًّا ومجنونًا، وما سِرُّ تلك النزعة النرجسية لديه؟!

إذا نظرت للأمر بمنطقية، فـ(هتلر) لم يكن نرجسيًّا فحسب، بل كان ذا نزعة نرجسية مَرَضِية، تمامًا مثل ورم خبيث يبدأ في موضع بسيط من الجسد، وبمرور الوقت يتفشَّى في باقي جسدك حتى

يصبح جزءًا لا يتجزأ من جسمك وحياتك وطريقة تفكيرك وتعاملك؛ وهذه النزعة ترسَّبت في ذهنه واتحدتْ مع عقدة النقص لديه.

لقد كان لدى (هتلر) كَمٌّ هائل وضخم من العدوانية والغضب الشديد تجاه الآخرين وخصوصًا اليهود، وصُنف أنه من معادي السامية ومن الساعين إلى القضاء على الجنس البشري أجمع؛ من أجل الحفاظ على سلالة الجنس الآري من أن تتلطخ بجينات البشر

الأدنى.

كان دائمًا يحلم بحكم قارة أوربا، وتلك الأحلام التي دفعته للأمام من أجل السيطرة على العالم، كلها كانت المُحرِّك الرئيسي لديه من أجل أن يصبح إمبراطورًا للإمبراطورية الألمانية كما كان يتمنى.

كان تأثير خسارة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى عظيمًا فيه كونه جنديًّا غاضبًا وحانقًا على ما ارتُكب في حق دولته واستسلامها غير المشروط، إلى جانب معاهدة (فيرساي) المُذِلة، كلها عوامل شكَّلت كرهه الشديد للبشر بشكل عام ولليهود بشكل خاص، ودفعت الأنا بداخله للاشتعال من أجل أن تدخل ألمانيا في حرب أخرى لردِّ الاعتبار.

أُرسل (أدولف هتلر)، الذى لا يزال يخدم في الجيش، للإفادة بمعلومات عن جماعة يمينية مُتشدِّدة ناشئة تُدعى حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني (الذي أعيدت تسميته لاحقًا باسم الحزب النازي)، لكن عندما وجد (هتلر) نفسه متفقًا مع معتقدات الحزب القومية المعادية للسامية، انضم إلى صفوفه.

ثم استمرت مسيرته حتى أشعل الحرب العالمية الثانية في سنة 1939 والتي قتلت الملايين.

وقد كانت السنوات التسع الأخيرة في حياة (هتلر) هي الأكثر مأساوية على الإطلاق.

بعد إصابة (هتلر) بآلام حادَّة في الأمعاء عام 1941م، لم تعُد حقن البرفينتين تنفعه، وكان يسيطر على عقله وساوس قهرية بفكرة الموت في سن مبكرة نتيجة تعرضه لمحاولة اغتيال فاشلة لكن كان لها أثر بالغ على نفسيته، فكان على طبيبه الخاص (موريل) إيجاد حل سريع لتفادي غضب

(الفوهرر). بدأ بحقنه بهورمونات حيوانية وإعطائه أدوية بالغة التأثير، حتى وصل لحقنه بمخدر قوي اسمه (أوكودال)؛ وهو خليط من الأفيون والهيروين، جعل (الفوهرر) منتشيًا على الدوام. مع الوقت، بدأ (موريل) يحقنه بالأوكودال عدة مرات في اليوم، ثم تطور العقار عبر دمجه بجرعات كبيرة من الكوكايين. لم يدرك (هتلر) حقيقة إدمانه إلا في وقتٍ متأخر.

الكارثة حلَّتْ مع قصف (هتلر) لمصنعي (بيرفيتين) و(إيوكودال)؛ إذ زاد إدمانه من دون توفر العقار. وقد كان يعتقد البعض أنه

مصابٌ بمتلازمة باركنسون، لكنه كان يعاني أعراض الإدمان والتوقف عن التعاطي.

وبعد شهرين من مقاومة أعراض الانسحاب واليأس من تقدُّم قوات الحلفاء من مخبئه في برلين، وفي يوم 30 أبريل 1945 انتحر (هتلر) وزوجته (إيفا براون)، حيث قام الراحل بإطلاق الرصاص على نفسه من مسدسه، وانتحرت بجانبه (إيفا) بعد تناول السم.

وقد مرَّ على الإنسانية جمعاء قتلةٌ عظام، ديكتاتوريون دمويون، وغيرهم من المرضى ذوي النزعة الإجرامية، لكن يبقى لشخصية (الفوهرر) طابع خاص ومميز دونًا عن الباقي.

الفصل الخامس اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع (Antisocial personality disorder)

قد يبدو اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع مُحيِّرًا للبعض، فعلى الرغم من أنك قد تفهم من مسمى هذا الاضطراب أن شخصية المصاب به عدائية إلى حد كبير لمن حولها وتتعمد إلحاق الأذى بالمحيطين بها فإنها قد تظهر أحيانًا بصفة ودُودة ومرِحة وجاذبة للتعامل معها، وحتى يزول هذا اللغز دعنا نتعرف أكثر في هذا المقال عن اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

ما اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع؟

اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع هو أحد الاضطرابات النفسية التي يتسم صاحبها بعدم الاكتراث للصواب والخطأ في معاملاته مع الآخرين، وربما يتجاهل حقوق ومشاعر مَنْ حوله ولا يبالي بها، وقد يميل اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع إلى السيكوباتية التي يتسم صاحبها بالتلاعب وخِداع الآخرين وتمثيل التعاطف معهم، وقد نُعِدُّ هذا نوعًا حادًّا للغاية من أنواع اضطراب الشخصية المعادِية للمجتمع، على الرغم من أنهم قد يظهرون أحيانًا بصورة جذابة للتعامل معها.

ما أعراض اضطراب الشخصية المُعادِية للمجتمع؟

رُبَّما يمكنك استنتاج أعراض اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع أو التي تتسم بالاعتلال الاجتماعي من تعريفها؛ فهي تتصف بكل مما يأتي:

- عدم الدراية الكاملة بالصواب والخطأ، وما يجب فِعْلُه وما لا يجب في التعامل.

- الإصرار على بعض الصفات الوضيعة، مثل التلاعب بالمحيطين لتحقيق مكاسب شخصية.

- قد تتسم الشخصية المعادية للمجتمع بالقسوة والسخرية الدائمة.

- عدم التعاطف أو الندم على الأذى الذي يتسببون به لضحاياهم.

- عدم الاكتراث للعواقب السلبية لما يفعلونه أو التعلم من أخطائهم.

- قد يميل بعض الأشخاص المصابين بهذا الاضطراب إلى السلوك

الإجرامي مما قد يؤدي بهم إلى العديد من المشكلات القانونية.

- يتسم هؤلاء الأشخاص كذلك بعدم الوفاء ببعض الالتزامات المالية أو حتى الالتزامات المهنية في العمل.

أسباب حدوث اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع

شخصية كل فرد منا ما هي إلا مجموعة من المشاعر والأفكار والخبرات الحياتية التي جعلت كُلَّ شخص منفرد عن غيره، وكذلك الشخصية المعادية للمجتمع نشأت نتيجة لبعض العوامل التي أسهمت في تكوينها مثل:

- **العوامل الوراثية والجينات**

فوجود أشخاص مصابين باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع في الأسرة يزيد من خطر الإصابة في الأبناء.

- **العوامل الاجتماعية**

بعض المواقف والظروف الاجتماعية قد تزيد من خطر إصابة الشخص باضطراب الشخصية المُعادِية للمجتمع خاصةً إذا كان تعرَّض في طفولته للاضطهاد الشديد أو الإهمال الدائم أو القسوة المتعمدة.

- **اضطرابات نمو الدماغ**

اضطراب تكوين الدماغ ونموه قد يرتبط بشكل أو بآخر باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن الرجال أكثر عُرضة للإصابة بهذا الاضطراب من النساء، كما أن بعض الدراسات الحديثة أشارت إلى أن ما يقرب من 47% من السجناء الذكور مصابون باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

كيف يمكن التعامل مع مريض اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع؟

قد يبدو التعامل مع الشخصية المعادية للمجتمع مرهقًا للغاية، فهل يمكن التعامل مع الشخص الذي يتسم دائمًا بعدم الاكتراث لمشاعر وحقوق الآخرين على الدوام؟ ولكن من المثير للدهشة أن هذا الاضطراب بالفعل يمكن التعامل مع المصابين به وإليك بعض النصائح المساعدة على هذا:

- قد لا يسعى الأفراد المصابون بهذا الاضطراب للعلاج بمفردهم؛

لهذا قد يكون من المهم للغاية أن يساعدهم المقربون منهم على التوجه لـأفضل طبيب نفسي مختص.

- من المهم كذلك أن يستمر دعم الأسرة والمحيطين بهم للاستمرار في العلاج.

- وقد يعد أفضل دواء للمصابين بهذا الاضطراب هو الحصول على الدعم الدائم والحب المستمر من قبل المحيطين بهم، دون إهمال وضْع حدود واضحة في التعامل مع هؤلاء الأشخاص خصيصًا.

كيفية تشخيص اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع

يعتمد تشخيص الشخصية المعادية للمجتمع من قبل مصحَّة علاج إدمان وطب نفسي على كل مما يأتي:

- التقييم النفسي الدقيق لأفكار الشخص ومشاعره وسلوكياته وعلاقاته الاجتماعية.

- وجود اضطرابات أخرى جسدية أو نفسية للشخص نفسه أو في عائلته.

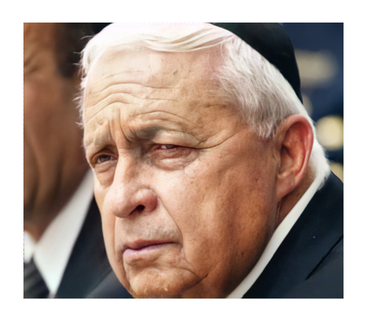
والجدير بالذكر هنا أنه على الرغم من أن اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع لا يُشخَّص قبل العام الثامن عشر؛ فإنه قد تظهر بعض الأعراض في الطفولة أو في بداية مرحلة المراهقة.

طرق علاج اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع

يعتمد علاج الشخصية المعادية للمجتمع بالضرورة على العلاج النفسي، فهو يعد العلاج الأول لتحسين أعراض هذا الاضطراب، وعلى الرغم من أن العلاج الدوائي ليس موصوفًا لهذا الاضطراب؛ فإن الطبيب قد يستخدم مضادات الاكتئاب والقلق إن استدعت حالة المريض.

أرئيل شارون

«يجب على اليهود العيْش في وسط التجمعات العربية وحولها. لا يجب أن يترك اليهود مكانًا واحدًا دون أن يوجدوا فيه وينعموا بحرية الانتقال».



في إحدى غرف العناية المركزة، التي تقبع في آخر الممر المظلم داخل مستشفى (شيبا تال هاشومِر) يرقد جسد مسجى على سرير صغير، يتصل به العديد من الأجهزة والأسلاك التي تُجاهد من أجل بقائه قيد الحياة.

منذ ما يُقارب الثماني سنوات وهذا الجسد ما زال غارقًا في مستنقع غيبوبته، أصبح جلد وجهه يتقطع شيئًا فشيئًا، أصابه العفن والاهتراء.

سادت حالة من الفوضى داخل تلك الغرفة، أسرعت الممرضة المتابعة للحالة تستغيث بالأطباء، حتى جاءوا يهرولون، صاح كبيرهم: «أدخلوه غرفة العمليات من أجل إجراء جراحة عاجلة لاستئصال أجزاء من أمعائه التي تعفَّنت من جراء إصابتها بالغرغرينا».

ثم أردف قائلًا: «إنه مُصاب بشلل تام نتيجة الجلطة الدماغية. إنه لا يستطيع أن يُحرك حتى جفون عينيه، ينتظر استئصال أجزاء جسده الواحد تلو الآخر وهو حي.. إنها لحالة مؤسفة حقًّا».

(أرئيل شارون)، وهو الاسم الذي يترجم من العبرية (أسد الرب).

ولد في القرية الزراعية المعروفة باسم (كفر ملاك) عام 1928 لأبوين يتسمانِ بالفظاظة والفردية والقسوة؛ إذ شكل كل منهما

سلوكًا مختلفًا عن الآخر، ووصل بهم الحد إلى العيش معزولين عن بقية السكان في المنطقة. هاجر جدُّه (موردخاي شانيرمان) إلى فلسطين عام 1910 من روسيا، ودرس والده (صموئيل) في كلية الزراعة بجامعة تيغليس، وهناك تعرف إلى والدته (فيرا)، التي تنحدر جذورها من عائلة يهودية وحيدة معزولة في قرية صغيرة على نهر الدينير، وكانت (فيرا) تدرس الطب.

عاش (شارون) في طفولته داخل منزل صغير، منذ بداية طفولته يهوى التعذيب وإلحاق الأذى بالآخرين؛ فحين كانت الفئران تخرج من جحرها لتتسلق دعائم غرفته كان يُخرج القط ليلاحقها ويُمسك بها، ويقوم بخنقها وتقطيعها، ثم يحرقها. كان والده المهندس الزراعي لا يُساعد أحدًا، فذات نهار لجأت إليه إحدى جيرانهم تتوسل إليه ليساعدها لإنقاذ طفلها الصغير، فما كان من (صموئيل شانيرمان) سوى أن قال: هذا ليس من شأني. مما سبب له العزلة والكراهية من قبل سكان القرية. لم تكمل والدته دراسة الطب، بل اكتفت بدورها (ربَّة بيت) مع دوام تدريبها على استخدام البندقية الألمانية القديمة والمخبَّأة في صندوق خشبي. كانت وحيدة في حياتها.

لقد نشأ في بيئة غير سوية لم يكن لديه أي أصدقاء، كان جميع الأطفال لا يوافقون أن يشاركهم (أرئيل) الطفل في ألعابهم نظرًا لشخصيته العنيفة، وافتعاله المشكلات بينهم دائمًا، وقد أثرت تلك الطفولة في تدعيم العديد من الاضطرابات النفسية؛ فقد تكونت لديه حالة من الاعتلال الاجتماعي وهو مُسمى آخر لاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، ويفتقر المصاب بهذا الاضطراب إلى التعاطف مع الآخرين؛ لذا لا يشعر بأي ندم على ما سبَّبه لهم من أذى، ويفشل في إقامة أي علاقة صحية، ويشعر هذا الشخص دائمًا بالتفوق، وكذلك بالأنانية الشديدة.

انخرط (شارون) في صفوف منظمة أو (عصابات) الهاجاناه الصهيونية عام 1942، وكان عمره آنذاك 14 سنة، فقد شعر بأن مكانه بين براثن القتل وسفك الدماء.

انتقل للعمل في الجيش الإسرائيلي عقب تأسيس دولة إسرائيل. شارك في معركة القدس ضد الجيش الأردني.

قام بمجزرة بشعة في اللد عام 1948، وحصد خلالها أرواح

426 فلسطينيًّا بعد أن اعتقلهم داخل المساجد.

ووقع أسيرًا في يد الجيش العربي الأردني في معارك اللطرون ، وقد أسره يومها النقيب (حابس المجالي) الذي نقله إلى الخطوط الخلفية، ثم إلى المفرق في الأردن، حيث أقيم معسكر اعتقال الأسرى اليهود، وبُدِّل بأسير عربي عندما جرى تبادل الأسرى بعد الهدنة الثانية.

وبعد فترة انقطاع عن الجيش قضاها على مقاعد الجامعة العبرية، عاود الجيش الإسرائيلي سؤاله للانضمام للجيش وترأّس الوحدة 101 ذات المهام الخاصَّة. وقد أبلت الوحدة 101 بلاءً حسنًا في استعادة الهيبة لدولة إسرائيل بعد خوض الوحدة لمهمّات غاية في الخطورة إلا أن وحدة (شارون) العسكرية أثارت الجدل بعد مذبحة قبية في خريف 1953 والتي راح ضحيّتها 170 من المدنيين الأردنيين.

ويُعدُّ السلوك الإجرامي هو السلوك المميز الأبرز لاضطراب الشخصية المعادي للمجتمع. يُعدُّ من الأمراض التي تستمر مدى الحياة، وتزداد حِدَّةً وعنفًا مع الوقت إذا لم تُعالج للتقليل من حِدَّة الاضطراب.

أما عن حياته الأُسرية فقط تزوَّج في حياته من أختين مولودتين في رومانيا، الأولى هي (مارغليت) التي تعرف إليها حين كان عمرها 17 وعمره 19 سنة في 1947 وتزوَّجها بعد ستة أعوام، وتُوفِّيت في حادث وهي تقود سيارتها على الطريق من القدس إلى تل أبيب، وقد كان رُزق منها في 1956 بابن وحيد سمّاه (غور)، وسقط أيضًا قتيلًا في 4 أكتوبر 1967 قبل يوم من رأس

السنة العبرية ذلك العام، أي بعد 4 أشهر من حرب إسرائيل الشهيرة مع مصر وسوريا والأردن، وبحادث مأساوي دموي أيضًا، وبعده دفنوه بجوار أمه.

كان (غور) يلعب في البيت مع أحد أبناء الجيران، وعمره 11 سنة ،وأثناء اللعب قام أحد الأولاد بالإمساك ببندقية قديمة لـ(شارون) في المنزل، فراح الصديقُ يتلاعب بها كيفما كان، وفجأة انطلقت منها رصاصة إلى صدر (غور)، وأسرع (شارون) فحمله بسيارته إلى مستشفى قريب، لكنه مات على الطريق ودمُه على يدي أبيه، وكانت تقيم معهما وقتها (ليالا) المعروفة باسم (ليلى)،

وهي الأخت الصغرى لزوجته القتيلة وكان عمرها 32 عامًا. تزوج (شارون) في من (ليلى) 1963، ورُزِق منها بابنين هما(عومري) و(جلعاد)، أما الزوجة فتمكَّن منها سرطان في 1999 استفحل سريعًا برئتيها، ولم يمهلها إلا شهورًا معدودات لتعيش، فتُوفيت العام التالي، ودفنها (شارون) في مكان أوصى بأن يدفنوه فيه وهو مزعة الجميزة التي كان يمتلكها.

ظل (شارون) يتنقل بين المقاعد والرُّتَب حتى حصل على مقعد في الكنيست الإسرائيلي بين الأعوام 1973 و1974، وعاود المشاركة في الكنيست من العام 1977 إلى وقت وفاته.

زادت لديه النزعة الدموية وأصبح أكثر ميلًا للعنف وتجاهل حقوق الآخرين والتلاعب بهم ومعاملتهم بقسوة ولا مبالاة. وقد عمل (شارون) مستشارًا أمنيًا لـ(إسحاق رابين)، ثم شغل منصب وزير الزراعة بين الأعوام 1977 إلى 1981. وفي فترة رئاسة (مناحيم بيغن) للحكومة الإسرائيلية، عمل (شارون) وزيرًا للدفاع.

وفي عام 1982 وخلال تولّيه تلك الوزارة، ارتكبت الميليشيات المسيحية اللبنانية مجزرة فلسطينية في مخيم (صبرا وشاتيلا) في العاصمة بيروت. وكانت هذه الميليشيات اللبنانية قد تحالفت مع إسرائيل وتعاونت مع قوات الجيش الإسرائيلي خلال احتلال الجيش الإسرائيلي بيروت في يونيو 1982. فطالبت المعارضة الإسرائيلية بإقامة لجنة لتحقيق دور الحكومة الإسرائيلية في ممارسة المجزرة.

وقد شمل تقرير لجنة التحقيق الإسرائيلية توصية بتنحية وزير الدفاع (شارون)؛ بسبب تجاهله للإنذارات بإمكانية حدوث المجزرة وعدم اتخاذه الإجراءات الملائمة لوقف المجزرة عندما بلغه حدوثها، ولكن التقرير لم يُلْقِ عليه مسئولية مباشرة عن المجزرة. رفض (شارون) قبول توصية تقرير لجنة التحقيق، ولكنه اضطر إلى التنحي عن منصب وزير الدفاع عندما زادت الضغوط عليه، فعُيِّن وزيرًا للدولة، ثم تولى منصب وزير الإسكان.

بعد الانتخابات التشريعية الثانية في عهده اضطر (شارون) لتأليف حكومة ائتلافية مع حزب العمل بقيادة (شمعون بيرس)، ليتابع ممارسة سياسته لتدعيم أمن إسرائيل، وأبرز خططه في هذه الفترة كانت خطة فك الارتباط؛ بمتابعة بناء السور الفاصل

والانسحاب من قطاع غزة مع تفكيك المستوطنات فيه.

انشقَّ عن الليكود(2) وأقام حزب (كاديما) في 21 نوفمبر 2005 بصحبة 13 عضو كنيست من الليكود، وذلك على خلفية رغبته في الانفصال عن غزة، الأمر الذي أدى إلى تمرُّد في صفوف الحزب ضده والدعوة إلى الإطاحة به.

ونتيجة لهذا التمرُّد صاغ النظام الداخلي للحزب الجديد (كاديما) صياغة دقيقة، وتمكن بذلك من توفير الحماية لخلفه (إيهود أولمرت)؛ ما يجعل أمر الإقالة من الحزب عسيرًا إن لم يكن مستحيلًا.

فحين تمرَّد بعض أعضاء الكنيست عن حزب الليكود ضد رئيس الحزب في ذلك الوقت (أرئيل شارون)، وحاولوا إقصاءه وتعيين آخر مكانه يتفق مع توجهاتهم السياسية، قرَّر (شارون) الانسحاب من الليكود وإقامة حزب (كاديما) في خطوة وُصِفت حينها بالهرب إلى الأمام واختراق الحصون. وحتى يتجنب (شارون) حدوث أمر مماثل في حزبه الجديد الذي فصله على مقاسه، قرَّر صياغة نظامه الداخلي شخصيًّا وبطريقة تجعل أمر إقالة رئيس الحزب الجديد أمرًا عسيرا جدًّا إن لم يكن مستحيلًا.

ويقضي النظام الداخلي لحزب (كاديما) والذي صاغه (شارون) بأن رئيس الحزب هو مرشح الحزب لرئاسة الحكومة، وأنه لا يمكن إقالته أو الخروج عليه إلا في حالة وفاته أو تقديم موعد

الانتخابات العامة؛ ما يعني بالضرورة إجراء انتخابات داخلية تسبق الانتخابات العامة بتسعين يومًا.

وفي معركة لن تجدها في المراجع الإسرائيلية المُعلنة، حيث نُسِيَتْ عن عمْد من قبل ذاكرة (العدو الصهيوني)؛ نظرًا لما تحمله له، من ألم ومعاناة، قتل فيها ٣٨ قتيلًا طبقًا للرقم الرسمي من الجانب الإسرائيلي، وجرح ١٢٠ من جنود النخبة لديه، تظل معركة (ممر متلا[(3)]) في حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، من المعارك والانتصارات الباهرة للجيش المصري، والتي لم تأخذ حقَّها الإعلامي، نتيجة تركيز المجد الإعلامي بعد العدوان الثلاثي على صمود المقاومة الشعبية في بورسعيد.

حيث اتسمت تلك المعركة بالعنف الزائد على امتداد سبع ساعات، لم ينقطع فيها التلاحم أو يهدأ الصراع، بما يجعلها أطول المعارك

في حرب العدوان الثلاثي، زمنًا وأكثرها إهدارًا للدماء، وظلت تؤرق (إرئيل شارون) نفسيًّا وجسديًّا خلال السنوات التالية، وحتى موته إكلينيكيًّا؛ نظرًا لما عاناه من فقد لرجولته، بسبب إصابة قناص مصري له، في منطقة حيوية في جسده (خصيته) خلال آخر يوم من المعارك.

كان من المعروف كره (شارون) لكل ما هو عربي يمشي على الأرض، ولكن بعد تلك المعركة لم يعد كرهًا طبيعيًّا أصبح كرهًا يتبعه عقدة جديدة تُضاف إلى ملفه النفسي، فلا شيء يُضاهي أن يشعر الرجل بفقد رجولته، وأن يعاني عقدة الدونية، وأن يشعر بالنقص في شخصه؛ لذلك عمل على إبادة العرب بلا رحمة ولا شفقة.

قد كان لهذه الشخصية العدائية العديد من المذابح التي لم تُفرِّق بين كبير وصغير، كان له تاريخ أسود من المجازر الدموية.

أصيب (شارون) يوم الأربعاء 4 يناير 2006 بجلطة سببها نزيف دماغي حاد سبب له فقدان وعيه. أدخل (شارون) إلى مستشفى هداسا عين كرم في القدس، حيث أجريت له عملية أولى دامت 6 ساعات. وبالرغم من استقرار حالته الصحية نتيجة العملية فإن (شارون) لم يعُد إلى وعيه؛ لذلك

اضطر الأطباء إلى إعادته لغرفة العمليات بضع مرات بعد أن اكتشفوا وجود مناطق أخرى في الدماغ تعاني النزيف، ومشكلات طبية أخرى تميز حالة عدم الوعي. في 28 مايو 2006 نُقل إلى مستشفى (شيبا تال هاشومِر في رمات غان بجانب تل أبيب)، وفي مقابلة صحافية مع إذاعة (غالي تساهل) في 17 سبتمبر 2008 قال الطبيب المسئول عنه، إنه في حالة (الوعي الأدنى)، حيث يحس بالألم، ويرد ردًّا أساسيًّا على سماع صوت أقربائه، ولكنه ما زال في حالة خطيرة دون أن يطرأ تحسُّن ملموس في حالته الصحية منذ نقله إلى المستشفى.

لقد كان له تاريخ طبي حافل منذ 1980، وكان (شارون) يعاني السمنة وارتفاع ضغط الدم المزمن وارتفاع الكولسترول. بطول 170 سم ووزن 115 كجم. عادة ما تكون سيارته الشخصية ممتلئة بالوجبات الخفيفة، والفودكا والكافيار. كانت قصص الشهية والسمنة الأسطورية لـ(أرئيل شارون) مشهورة في إسرائيل. ورغم كثير من المحاولات من قبل الأطباء، والأصدقاء والموظفين لفرض

نظام غذائي متوازن على (شارون) فإنها لم تنجح.

وفي تمام الساعة الثانية مساءً بتوقيت إسرائيل من يوم السبت الموافق 11 يناير 2014 في مستشفى شيبا تال هاشومِر، أعلن التلفزيون الإسرائيلي وفاة رئيس الوزراء الأسبق (أرييل شارون) عن عمر يناهز 85 عامًا بعد غيبوبة دامت 8 سنوات.

ودُفِن في مزرعة الجميزة كما أوصى.

وقد قيل: إن الفشل الكلوي الذي أصاب (شارون) هو سبب تدهور حالته الصحية، كما أن الأطباء خاطبوا نجليه قبل أيام من وفاته بضرورة نزع أجهزة التنفس الصناعي التي أبقته على قيد الحياة طيلة فترة الغيبوبة لكنهم رفضوا ذلك حتى تمت الوفاة .

وهذه كانت نهاية طاغية من أكثر الطغاة دموية في التاريخ الإنساني.

الفصل السادس اضطراب الشخصية الساديَّة (sadistic personality disorder)

تعني السادية اكتساب المُتعة من رؤية الآخرين يقاسون الألم أو عدم الراحة. وتتميز شخصيات الساديين بالقسوة والعدوان المتكرر. كما يمكن أن تشمل السادية استخدم القسوة العاطفية، والتلاعب بالآخرين؛ وذلك من خلال استخدام التخويف والعنف. في حين يستمتع بعض أفراد السادية في تعريض الآخرين للألم والمعاناة، والسادية لا تعني دائمًا الاعتداء الجسدي أو العنف. ففي كثير من الأحيان يعبر أفراد السادية عن السلوكيات الاجتماعية العدوانية والتمتع بإهانة الآخرين.

وتعود تسمية (السادية) للأرستقراطي والروائي الفرنسي المعروف بـ(ماركيز دي سادا) الذي كان من دُعاة أن يكون المبدأ الأساسي في الحياة هو السعي للمتعة الشخصية المطلقة دون أي قيود أخلاقية أو دينية أو قانونية، وقد سجل تاريخه فضيحة تمثلت في جلده فتاة شابة والإساءة إليها جنسيًّا وبدنيًّا في يوم أحد الفصح، إضافة إلى العديد من الفضائح المتسمة بالعنف والقسوة في تعاملاته الجنسية؛ ليصبح مصطلح (السادية) مرادفًا للعنف والدموية.

كثيرًا ما وجد أن اضطراب الشخصية السادية يمكن أن يحدث بانسجام مع الاضطرابات الأخرى. وفي الواقع قد وجدت الدراسات أن اضطراب الشخصية السادية هو اضطراب في الشخصية وفقًا لأعلى مستوى من الاعتلال المشترك لأنواع أخرى من الاضطرابات النفسية. إضافة إلى ذلك عُثِر على السادية في المرضى الذين لم يتعرضوا لأشكال أخرى من الاضطرابات السيكوباتية. اضطراب الشخصية الواحدة هو اضطراب في السلوك، وكثيرًا ما وجد أنه يحدث جنبًا إلى جنب مع اضطراب الشخصية السادية، وهو لا يحدث للكبار فحسب بل وأيضًا قد يحدث في إحدى مراحل الطفولة والمراهقة. كما وجدت في بعض الأحيان اضطرابات الشخصية المعادية للمجتمع والشخصية النرجسية في الأفراد الذين شُخِّصوا باضطراب الشخصية السادية. وكثيرًا ما شُخِّصت اضطرابات أخرى مع اضطراب الشخصية السادية مثل الاضطراب

الوجداني الثنائي القطب، واضطرابات الهلع والاكتئاب، واضطراب الشخصية الحدَّية، واضطراب الشخصية الهستيرية، واضطراب الوسواس القهري، واضطراب الشخصية الانهزامية والسلوك السلبي العدواني. كما وجدت الدراسات أنواعًا أخرى من الأمراض، مثل المدمنين على الكحول، يكون لديهم نِسبة عالية من الاعتلال المُشْترك مع اضطراب الشخصية الساديَّة.

وبسبب مستوى عالٍ من الاعتلال المشترك مع اضطرابات أخرى، وجد الباحثون صعوبةً في التمييز بين اضطراب الشخصية السادية والأشكال الأخرى من اضطراب الشخصية. في حين أن اضطراب الشخصية السادية نفسها لم تعُد مُدرجَة في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM)، وجزئيًّا لهذا السبب هناك أنواع أخرى من الاضطرابات التي تنطوي على السادية، مثل السادية الجنسية، لا تزال موجودة في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM) كالشذوذ الجنسي.

عادةً ما تُشير معظم هذه النظريات إلى حقيقة الساديَّة التي تعتمد أساسًا على تنشئة الفرد. وعلى الرغم من أن الجوانب البيولوجية والبيئية المعروفة في إسهاماتها في تطوير هذا الاضطراب السلوكي فإنها كانت أقل الأدلة المتوفرة حول البيئة أو الأسباب الوراثية. وكما وجد اضطراب الشخصية السادية في كثير من الأحيان في الذكور أكثر من الإناث. بالإضافة إلى ذلك، قد اقترحت الدراسات أن البيئة الأسرية لها دور في تطور الشخصية السادية. وعلى وجه التحديد فالأشخاص المصابون باضطراب الشخصية السادية في كثير من الأحيان يكون لديهم أقارب مصابون بأحد أنواع الاضطراب النفسي أيضًا.

ويعتقد أن التجارِب السلبية خلال مرحلة الطفولة أو النمو الجنسي في المراحل المبكرة قد تكون أحد العوامل الرئيسية التي تُسهم في تنمية شخصية السادية لدى الفرد. كما لُوحظ أن الساديَّة أو شخصية السادية يمكن أن تتطور أيضًا في الفرد من خلال الإشراط. على سبيل المثال، التواصل المستمر مع مثير محدد كالمتعة الجنسية أو الاستمتاع بعذاب الآخرين يسبب بما يدعى بالسادية أو السادوماشوسية.

معايير لاضطراب الشخصية السادية:

• أ) ثمة نمط من السلوك القاسي والعدواني يبدأ قبل مرحلة البلوغ في وقت مبكر، ويدل على ذلك تكرار حدوث أربعة على الأقل من تلك الأعراض:

- قد يستخدم القوة والقسوة الجسدية والعنف لغرَض الهيمنة في العلاقة (ليس لتحقيق أهداف غير شخصية مثل ضرب شخص ما من أجل سرقته أو سرقتها).

- يهين أو يحط من قدْر الناس في وجود الآخرين.

- قد يجعل شخصًا ما يتصرف تحت سيطرته بقسوة غير اعتيادية.

- يشعر بـ التسلية والمُتعة عندما يرى المعاناة النفسية والجسدية للغير. (بما في ذلك الحيوانات).

- قد يكذب لغرض إلحاق الأذى والألم بالآخرين (ليس لتحقيق هدف محدد).

- يجعل الناس يفعلون ما يريد عن طريق إرهابهم (وذلك من خلال التخويف أو الترهيب).

- تقييد استقلالية الناس التي تربطهم به علاقة وثيقة (على سبيل المثال عدم السماح للزوجة بمغادرة المنزل دون صحبة أو الابنة في سن المراهقة حضور المناسبات الاجتماعية).

- الهوس بالعنف والأسلحة وفنون الدفاع عن النفس والجروح أو التعذيب.

• ب) لا يوجه هذا السلوك نحو شخص واحد فقط (على سبيل المثال: الزوج أو الطفل). وأيضًا لا يكون فقط بغرض الإثارة الجنسية، كما في الساديَّة الجنسية.

فلاد الثالث (دراكولا)

«لا تعني لي الرحمة والمغفرة أي شيء، تلك كلمات ليس لها وجود في حياتي، فتلك كلمات الضعفاء».



ظلَّ المنادي يجُول في المدينة الواسعة مُعلنًا أن الملك قرَّر القضاء على الفقر في جميع أنحاء البلاد، وعلى جميع العباد المساكين والفقراء التوجه غدًا لقلعة الحاكم للقاء الملك والحاضر يُعلم الغائب. عمَّ السرور بين الفقراء وزاد التهليل باسم الملك. في اليوم التالي توافد أكثر من ثلاثة آلاف من الفقراء، كان العدد ضخمًا ضمَّ العجائز والنساء والأطفال والشباب من جميع الأعمار، استقبلهم حُراس الملك وأدخلوهم إلى أكبر قاعات القلعة، وعندما دخلوا وجدوا بها الكثير من طاولات الطعام الممتلئة بأشهى الأنواع وأكثرها فخامة، وبعد أن أكلوا وامتلأت بطونهم، أمر الملك جنوده بإشعال الحريق بالقاعة ومن فيها جميعًا، كانت الصرخات تتصاعد وهو يستمتع بتلك الأصوات ويُردِّد بكل فخر: «لقد قضيتُ تمامًا على الفقر والفقراء، أصبحت ولاشيا بلا فقر».

تلك قصة قصيرة من قصص دراكولا.

اسمه الحقيقي فلاد الثالث، حكم ولاشيا(4) لفترات متقطعة امتدت إجمالًا لـ7 سنوات بين 1455 و1478، ولُقِّب بـ(دراكولا)، لانضمامه لما يُسمى بـ(عصبة التنين)، التي كانت اتحادًا سريًّا ضمَّ مجموعة من أمراء ونبلاء أوربا الوسطى والشرقية للوقوف ضد المد العثماني، ويعني اسم (دراكولا) باللاتيني (ابن التنين)، أما في الرومانية الحديثة فتعني (ابن الشيطان).

لقد كان أبشع من الشيطان في قسوته، سيطرت عليه اضطراباته

النفسية والعقلية وطمعه لأن يكون مُخلدًا أبد الدهر.

وقد استوحى منه الكاتب (برام ستوكر) شخصيته الأسطورية مصاص الدماء في روايته التي نشرت عام 1897 والتي كانت تحمل نفس الاسم (دراكولا).

وُلد (فلاد) في مقاطعة سيجيشوارا بإقليم ترانسيلفانيا[5] في شتاء عام 1431 وهو ابنٌ من بين عِدَّة أبناء للملك (فلاد الثاني).

بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح أصبح البلقان[6] بأسره ساحة مفتوحة أمام الجيوش العثمانية، وغدت مقاطعة ولاشيا الرومانية عالقة ما بين مطرقة العثمانيين وسندان المجريين، وكلاهما طامع يتهدَّد كيان ووجود هذه الإمارة الصغيرة.

وقد اعتلى (فلاد الثاني) والد (فلاد الثالث) عرش ولاشيا، وظل حاكمًا عليه حتى أُزِيح عن العرش من خلال مؤامرات رُتِّبَتْ بين خصومه في ولاشيا وملك المجر في ذلك الوقت (فلاديسلاف الثالث) عام 1442، ومع ذلك عاد (فلاد الثاني) لاعتلاء عرش ولاشيا الذي انتزعه من بين يدي الملك (باسراب الثاني) وحلفائه من البويار[7]، وذلك بمساعدة السلطان العثماني آنذاك (مراد الثاني) بعدما اتفق معه على دفع الجزية للدولة العثمانية.

فور عودته لعرش ولاشيا 1443، أرسل (فلاد الثاني) ولديه الشرعيين، (فلاد) و(رادو) إلى البلاط السلطاني العثماني كرهائن لدى السلطان (مراد الثاني) لإثبات ولائه للإمبراطورية العثمانية، وفي أعقاب وفاة (فلاد الثاني)، عاد (فلاد الثالث) ليحتل مكان أبيه على عرش ولاشيا بمساعدة العثمانيين، فيما بقي شقيقه (رادو) أسيرًا للبلاط السلطاني العثماني، الذي اندمج مع الحياة التركية، وأعلن إسلامه وأصبح جنديًّا في جيش الخليفة العثماني.

وخلال تلك الفترة التي قضاها (فلاد الثالث) في أدرنة، تمكَّن الأمير الشاب من دراسة علوم المنطق والقرآن والأدب، وكذلك التركية العثمانية حتى أتقن هذه اللغة خلال السنوات الأخيرة التي قضاها في البلاط السلطاني، كما تدرَّب على الفروسية وفنون الحرب، ولكن كان يتعرض للضرب والتعنيف من قبل الأتراك بسبب شخصيته الجريئة.

وقد أثرت تلك المعاملة وتلك النشأة في الحالة النفسية لديه،

وجعلت منه شخصية حادة الطباع بِلا رحمة، يحقد على الجميع، لا يهوى سوى القتل وسفك الدماء، ولا يُظهر أي ندم على تصرفاته العدوانية تجاه الآخرين حتى الأبرياء الذين لم يفعلوا له أيَّ

شيء، أصبح له قانونه الخاص.

وهذا ما يسمى «اضطراب الشخصية السادية».

قد يكون حدوث اضطراب الشخصية السادية مرتبطًا باضطراب في مناطق معينة من الدماغ، وقد يكون هذا السلوك نوعًا من التعبير عن الانفعالات السلبية والمحتقنة داخل النفس، أو قد يكون نتاجًا لخبرات الطفولة، فالتجارب السلبية خلال مرحلة الطفولة تكون أحد العوامل الرئيسية التي تُسهم في تنمية الشخصية السادية.

أصبح (فلاد) في تلك الفترة يتَّسم بشخصية السادي المتفجِّر الذي لا يمكنك أن تتوقع ردَّ فعله؛ إذ إنه عنيف بشكل غير متوقع، وفي بعض الأحيان قد يفقد السيطرة على ذاته. تنشأ هذه الشخصية عند البعض نتيجة اليأس والخيبة من الحياة، فيسعى إلى الانتقام من الآخرين حوله لا سيَّما أسرته، ويحاول تفريغ كل المشاعر السلبية المسجونة داخله مما عاناه من ألم.

لم تدم فترة حكم (فلاد الثالث) طويلًا، حيث عاود (يوحنا هونياد)((8)) غزو ولاشيا مرة أخرى ليعيد حليفه (باسراب الثاني) لعرش البلاد مُجددًا بعد أن أطاحت به الجيوش العثمانية سابقًا.

وبعد إقصائه من الحكم، لم يرغب (فلاد الثالث) في طلب المساعدة من الدولة العثمانية مرة أخرى، خاصة بعد اعتلاء السلطان محمد الفاتح؛ نظرًا للخصومة والكراهية بين الاثنين منذ أن تربَّيا معًا في البلاط السلطاني، وعليه فرَّ هاربًا إلى (مولدافيا)((9))، وعاش لفترة هناك تحت حماية عمه أمير مولدافيا (بوجدان الثاني)، قبل أن يلقى الأخير حتفه في 17 أكتوبر 1451؛ مما دفع (فلاد الثالث) للفرار مرة أخرى قاصدًا المجر، وهناك التقى (يوحنا هونياد) والذي أُعجب بدراية الأمير الشاب بالأحوال الداخلية للدولة العثمانية وخططهم للحرب العثمانية، علاوة على الكراهية المطلقة من جانب (فلاد الثالث) تجاه الدولة العثمانية، مما دفع (يوحنا هونياد) لاتخاذ (فلاد الثالث) مستشارًا عسكريًّا له.

استمرَّ مكوث (فلاد الثالث) في المجر حتى ما بعد سقوط

القسطنطينية على يد محمد الثاني، الملقب بـ(الفاتح) في 29 مايو 1453، بعدها تعاظم المدُّ العثماني في تلك المنطقة مُهدِّدًا برَّ أوربا الرئيس بالكامل.

وبعد ثلاثة أعوام من غزو القسطنطينية، حاولت الجيوش العثمانية إضعاف المملكة المجرية عن طريق محاصرة بلجراد عام 1456، في ذلك الوقت، وجد (يوحنا هونياد) نفسه مضطرًّا لمغادرة المجر، وشن غارات مضادة في صربيا نجح من خلالها في رفع الحصار عن بلجراد، من جانبه استغل (فلاد الثالث) تلك الاضطرابات في العودة مرة أخرى إلى ولاشيا، وقاد عشيرته لاسترداد مُلكِه للمرة الثانية في 22 أغسطس 1456.

هاجم (دراكولا) مدينة براشوف الرومانية، معقل البويار؛ للانتقام منهم، وأعدم قرابة 3 آلاف من تجار المدينة وقادتها خزقًا صبيحة الاحتفال بعيد القديس برثولماوس، في 11 يونيو 1459، بعد اتهامه إياهم بالفساد والتآمر على ولاشيا، بعدها خلد إلى الراحة وتناول الغذاء وسط الجثث المعلقة على الخوازيق(10)، تاركًا إيها للتعفن.

وهنا تبدلت شخصيته من السادي المتفجر إلى السادي الإجرامي؛ وهذا أخطر أنواع السادية؛ إذ إنه يلجأ لأساليب منهجيَّة لتعذيب الآخرين، ويستمتع بإجبار ضحاياه على الخضوع وتصغير ذواتهم. يبدو أن هذه التصرفات تُعطيه إحساسًا بالرضا والمتعة، وهو عادة ما يختار ضحاياه من الضعفاء من حوله، وسلوكه ليس نتيجة الإحباط، وإنما نتيجة فقْد ثقته بنفسه، فيسعى لفرْض سيطرته على الآخرين ليغطي على ضعف الشخصية لديه وإثبات أنه يتفوق عليهم.

أصبحت شخصية (فلاد) أكثر حِدَّةً ودموية؛ فكان يستمتع عندما يرى الجثث التي تُعْدَم بالخازوق، وكانت متعته الكبرى في رؤية الآخرين يقُاسون الألم وعدم الراحة.

وفي عام 1460 ألقت القوات العثمانية القبض على (ميخائيل زيلاغي) وصي عرش المجر، وحليف (فلاد الثالث) الوحيد، في أثناء عبوره الأراضي البلغارية، واقتِيد بصحبة رجاله إلى القسطنطينية، حيث عُذِّب جنودُه حتى الموت، بينما أمر السلطان محمد الثاني بإعدام (زيلاغي) بنشره حيًّا إلى نصفين. ومع نهاية

العام نفسه، أرسل السلطان العثماني محمد الثاني رُسُلَه إلى (فلاد الثالث) لمطالبته بدفع الجزية علاوة على تقديم الولاشيين لخمسمئة من أبنائها للعمل انكشاريين(11) في صفوف الجيش العثماني إلا أن (فلاد) رفض شروط السلطان عثماني لقناعته بأن قبول تلك الشروط واستمراره في دفع الجزية يعني قبوله ضمنيًّا بالوصاية العثمانية على ولاشيا، وكان تعامل (فلاد) مع رسل السلطان العثماني سببًا في انهيار العلاقة بين الولاشيين والدولة العثمانية تمامًا، حيث أمر (فلاد) بتسمير عمائم الرسل على رءوسهم بمسامير حديدية بعد أن رفضوا خلعها في حضرته احترامًا وإجلالًا، كما أرسل (فلاد الثالث) خطابًا إلى ترانسيلفانيا بتاريخ 10 سبتمبر 1460، مُحذِّرًا إياهم من غزو محمد الثاني المتوقع للبلاد وطالبًا منهم العون خلال حربه ضد الجيوش العثمانية، التي عبرت بالفعل نهر الدانوب، وبدأت في جمع الأفراد قصرًا وإرسالهم لمعسكرات التدريب، وتحرك بجنده سرًّا مهاجمًا القوات العثمانية، وألقى القبض على العديد من أفرادها، وأمر بإعدامهم خزقًا.

واستمرت المناوشات بين أمير ولاشيا والقوات العثمانية حتى عام 1461 عندما عرض عليه السلطان محمد الثاني الحضور إلى القسطنطينية للتفاوض.

ومع نهاية نوفمبر 1461، أرسل (فلاد الثالث) خطابًا للسلطان العثماني مفاده عجزه عن الاستمرار في دفع الجزية، كما أورد إليه عدم قدرته على مغادرة ولاشيا مخافة انتهاز ملك المجر للفرصة والهجوم على البلاد في أثناء غيابه، مُنهيًا الخطاب بقطع عهود بإرسال الذهب متى توافرت لديه الموارد، كما عرض على السلطان العثماني أن يوفد باشا يحكم البلاد باسم (فلاد الثالث) إذا ما أراد السلطان حضوره إلى القسطنطينية. وبعد وصول كتاب (فلاد الثالث) للسلطان العثماني، حصل الأخير على معلومات استخباراتية عن تحالف (فلاد الثالث) مع ملك المجر وكذب ادعاءات (فلاد الثالث) بالخوف من انقلاب ملك المجر عليه واحتلاله ولاشيا؛ ولهذا قرر السلطان محمد الثاني إرسال حمزة باشا لعقد لقاء مع (فلاد الثالث)، كما أمر السلطان العثماني مبعوثه بالانقضاض على (فلاد) هناك واستياقه أسيرًا إلى القسطنطينية، وبالفعل توجه حمزة باشا على رأس قوة قوامها ألف فارس لتنفيذ

المطالب السلطانية، غير أن تلك المعلومات قد سبقت وصول المبعوث العثماني لـ(فلاد) الذي أصبح على دراية بالنوايا الحقيقية للعثمانيين، فقام بحشد جنوده لشن هجوم خاطف على القوات

العثمانية، والتي انتظرها عند الممرات الجبلية شمال جورجيو، حيث شن هجومه المفاجئ على الفرسان العثمانيين المحاصرين بين الممرات الجبلية الضيقة، ونجح في تطويق القوات العثمانية والفتك بالعديد من أفرادها باستخدام المدافع اليدوية، والقبض على المتبقي منهم وفي مقدمتهم قائدهم حمزة باشا، فأمر بإعدامهم جميعًا على خوازيق، جاعلًا أطولها للقائد حمزة باشا للدلالة على علو رتبته، وتشير المراجع إلى أن (فلاد الثالث) يعد أول من استخدم البارود في الحملات الصليبية بطرق مبتكرة للقتل. وقد أرسل (فلاد الثالث) خطابًا إلى ماتياس كورفينوس ملك هنغاريا وكرواتيا بتاريخ 2 فبراير 1462، يخبره فيه بانتصاره على القوات العثمانية وأسر قائدها بعدها، توجّه لحصن جورجيو، حيث عسكرت باقي القوات العثمانية، واستخدم إتقانه للسان العثماني وتنكُّره في هيئة فارس، فأمر الجنود بفتح أبواب الحصن، وبعد امتثال الجنود لأوامره، اجتاح (فلاد الثالث) الحصن، ودمَّره عن آخرِه، وقتل مَنْ فِيهِ من جُنود، بعدها قرَّر الانتقام من السكان الذين قدَّموا الدعم للقوات العثمانية، فبدأ بجنوب ولاشيا، بعدها عَبَرَ نهر الدانوب المتجمِّد إلى بلغاريا، ومع وصوله لبلغاريا، قسَّم (فلاد الثالث) قواته لفرق صغيرة؛ مما ساعده على تغطية مساحة 800 كيلومتر من الأراضي البلغارية في أسبوعين، أودى خلالهما بحياة ما يقرب من 25,000 تركي ومسلم بلغاري، وقد أرسل خطابًا آخر لـ(كورفينوس) بتاريخ 11 فبراير 1462 يحدثه عن انتصاراته الجديدة، جاء فيه:

«قتلت الفلاحين في أوبلوكيتزا ونوڤوسيلو؛ رجالًا وإناثًا، شيوخًا وأطفالًا، كذلك الموجدون عند مصب الدانوب وحتى راهوڤا، على مقربة من كيليا، ومن الدانوب السفلي حتى ساموڤيت وغيغن، قتلنا 23,884 من الأتراك، دون إحصاء هؤلاء الذين أحرقناهم داخل منازلهم أو قاموا جنودنا بقطع رقابهم، وعليه جلالتك، لك أن تعلم أنني نقضت سلامي معه (أي السلطان محمد الثاني) فلاد الثالث المخوزق».

وفور وصول تلك الأنباء لمسامع السلطان العثماني، الذي كان

مشغولًا بحصار كورينث، قام بإرسال الصدر الأعظم، محمود باشا، على رأس قوة قوامها 18,000 جندي لتدمير مدينة برايلا الولاشيه الساحلية، إلا أن (فلاد الثالث) نجح في الارتداد سريعًا إلى المدينة، وتمكن من الانتصار على القوات العثمانية.

وفي 4 يونيو 1462، نجحت فرقة من الانكشاريين في احتلال مدينة تورنو سيفيرين بعد مقاومة من القوات الولاشية أوْدَتْ بحياة 300 جندي عثماني، بعدها استمر الجيش العثماني في التقدم في ظل اتباع (فلاد الثالث) وجنوده لسياسة الأرض المحروقة، فقام بحرق جميع المدن التي سيمر عليها الجيش العثماني ليأخذوا منها حاجتهم من الطعام، كما قام بتسميم المياه، وخلْق المستنقعات لتعطيل تقدم القوات العثمانية عن طريق تحويل مجاري الجداول والأنهار الصغيرة، كذلك صمَّم الفخاخ والمصائد الأرضية، كما عمد إلى تهجير أهالي القرى وحيواناتهم إلى المناطق الجبلية بعيدًا عن متناول القوات العثمانية، التي استمرت في التقدم مدة سبعة أيام كاملة دون مأكل أو مشرب. من جانبه اتبع (فلاد الثالث) أسلوب حرب العصابات ضد القوات العثمانية، كما أرسل العديد ممن يعانون أمراضًا فتاكة كالجذام والسُّل والزهري -وبصورة أكبر هؤلاء الذين يعانون الطاعون- لمعسكرات العثمانيين؛ لنشر الأوبئة بين الجنود، وهو ما حدث بالفعل، حيث انتشرت عدوى الطاعون بين الجنود العثمانيين بصورة وبائية، من جانبه قام الأسطول العثماني بشن هجمات ضد مدينة برايلا الساحلية ولكن دون فائدة تُذكر، خاصة بعد تدمير (فلاد الثالث) لغالبية الموانئ البحرية العثمانية في بلغاريا.

وقد نجح (فلاد الثالث) في التسلل داخل معسكر العثمانيين متنكرًا في هيئة جندي عثماني، وساعده على ذلك إتقانه للغة التركية، ومن خلال جولته داخل المعسكر تمكَّن من تحديد موقع الخيمة السلطانية، ومن ثمَّ اختار (فلاد الثالث) أن يقوم بهجومه ليلًا خاصة مع علمه بالنظم العسكرية العثمانية والتي تمنع وجود الجنود خارج خيامهم بعد حلول الظلام، واستمرت المناوشات منذ الساعة الثالثة بعد حلول الظلام وحتى الرابعة من صباح اليوم التالي، ليخلق حالة من الفوضى العارمة داخل معسكر العثمانيين.

أمر السلطان (محمد الثاني) جنوده باستكمال المسير صوب

ترجوفيشت(12) ومحاصرتها، وعند الوصول إليها، وجد أبواب المدينة مفتوحة على مصرعيها وقد هجرها مَنْ فيها، فدخل العاصمة بصحبة جنوده، وسار لنصف ساعة في طرقات المدينة التي زُيِّنت جنباتها بجثث أكثر من 25,000 جندي عثماني ومسلم بلغاري، موضوعة كلها على خوازيق، كما وجد جثة حمزة باشا وقد تعفَّنت تمامًا على أطول تلك الخوازيق الموجودة، لم يتحمل

السلطان هول ما رأى، حيث أمر جنوده بالمبيت هذه الليلة خارج ترجوفيشت، وحفر خندق عميق حول المعسكر مخافة تعرضه لهجوم آخر مثلما تعرَّض له سابقًا، وفي صباح اليوم التالي، 22 يونيو، أصدر السلطان أوامره بالانسحاب.

على الرغم من رحيل السلطان محمد الثاني عن ولاشيا؛ فإنه أبقى على (رادو) الأخ الأصغر لـ(فلادو) في البلاد على رأس جيش من الجنود الانكشاريين، للقضاء على (فلاد الثالث) نهائيًّا، في مقابل ذلك لم يقف السلطان العثماني عن دعم قوات (رادو) بالأموال أو العتاد؛ مما ساعدهم على الاستمرار في الحرب ضد (فلاد الثالث)، والتوغل داخل مملكته حتى تسنى لهم محاصرة قلعة بويناري((13))، معقل (فلاد الثالث)، والذي على الرغم من ذلك، فقد تمكَّن من الفرار منها بعد انتحار زوجته، التي فضَّلت إلقاء نفسها من أسوار القلعة عن الوقوع في أسر القوات الموالية للدولة العثمانية، وبنهاية الحصار وفرار (فلاد الثالث)، منح السلطان العثماني لقب (أمير ولاشيا) لـ(رادو) وأجلسه على عرش البلاد.

سافر (فلاد) إلى المجر طالبًا العون من الملك (كورفينوس)، الذي بدوره لم يكن ينوي الدخول في حرب ضد الدولة العثمانية، فلم يقدم لـ(فلاد) أي دعم، بل ألقى القبض عليه، وزجَّ به في السجن بتهمة الخيانة العظمى، بعد أن زوَّر (كورفينوس) خطابًا للسلطان محمد الثاني يدعوه فيه إلى السلام، ونسبه لـ(فلاد الثالث)؛ مما يُعطي (كورفينوس) الفرصة في الاستئثار بأموال الدولة البابوية التي أُرسلت إليه مُسبقًا والعودة إلى المجر دون حرب.

سُجن (فلاد الثالث) لفترة في حصن أوراتيا، نُقل بعدها إلى بلجراد شمال بودا على الضفة الشرقية لنهر الدانوب، حيث قضى عشر سنوات، قبل نقله مرة أخيرة للسجن في بودا.

تحوَّل (فلاد الثالث) من الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية عام 1475

خلال فترة سجنه في المجر، حيث عرض عليه العاهل المجري التحول عن عقيدته الأرثوذكسية والزواج من الكونتيسة إيلونا زيلاغي، ابنة عم كورفينوس، وهو ما لقي قبولًا من جانب (فلاد الثالث) الذي كان شغله الشاغل العودة إلى ولاشيا واسترداد عرشه.

بعد وفاة (رادو) المفاجئة عام 1475، أعلن (فلاد) قيام دولته الثالثة في 26 نوفمبر 1476، وبدأ في تجميع قوات من الموالين له والاستعداد لغزو ولاشيا بدعم مجري من كورفينوس، غير أن مُلكه الأخير على الإمارة الصغيرة لم يدُم سوى أقل من شهرين، بعد وفاته في معركة ضد العثمانيين بالقرب من بوخارست، الذي وافق 10 يناير 1477، وفُصِلت رأس (فلاد الثالث) عن جسده، حيث أُرسلت الرأس للسلطان العثماني محمد الفاتح، الذي عرض الرأس على خازوق خشبي في العاصمة العثمانية أدرنة.

الفصل السابع اضطراب الشخصية النرجسية (Narcissistic personality disorder)

وهو اضطراب مُزمن وشامل في الشخصية، ولهُ صفاته وملامحه السلوكية، ويصنف بوصفه واحدًا ضمن عشرة اضطرابات للشخصية.

في هذا الاضطراب يتضخم فيه شعور الشخص بأهميته، وتتولَّد لديهِ حاجة ماسة؛ لأن يكون موضع الإعجاب عند الجميع، وتتدنى لديهِ مشاعر التعاطف مع الآخرين، ويستعمل المصطلح أيضًا بمعنى حب الذات الطبيعي والاعتيادي المقبول والمطلوب، في قضايا تربوية وحقوقية وقانونية، مثل التعبير عن الذات وحقوقها وحقوق الطفل والمرأة والأقليات والشعوب، وقد يؤدي الظلم والاضطهاد إلى جروح نرجسية عميقة وردود فعل متنوعة عدوانية.

لتشخيص هذا الاضطراب يتطلب وجود عدة صفات وسلوكيات. وهذه الصفات والسلوكيات قد تكون مستعصية ومزمنة وبعد عمر 18 سنة قد تؤدي إلى مشكلات ومعاناة وصعوبات في التكيف الاجتماعي. ومن هذه الصفات والسلوكيات:

- تضخيم قيمة الذات وميزاتها ومهاراتها.

- الانشغال بخيالات النجاحات الباهرة، القوة، الذكاء، الجمال، الحب المثالي.

- الاعتقاد بأنه شخصية متميزة، وأنه لا يفهمه إلا المتميزون، ولا يتعامل إلا مع المتميزين.

- يتطلب الإعجاب والإطراء دائمًا.

- يعتقد أنه يستحق الامتيازات، وأن يعامل بشكل متميز واستثنائي.

- نقص التعاطف مع الآخرين.

- يستغل الآخرين.

- يغار من الآخرين كثيرًا أو يعتقد أن الآخرين يغارون منه.

- متبجح ومتغطرس في سلوكه وكلامه.

- الإحساس بالضعف، أنه غير مرغوب فيه.

- عدم تقبُّل النقد والغضب الشديد من النقد واللوم.

- عدم تحمُّل الإحباط.

- الانسحاب الاجتماعي أحيانًا.

- صعوبة التعاون مع الآخرين.

- مشكلات مهنية.

- البحث عن الاهتمام وإثارة الانتباه.

- مشكلات في العلاقات الشخصية.

- الاضطرابات المصاحبة:

- الاكتئاب.

- التدخين الكثيف وأحيانًا الإدمانات على المخدرات.

- القمة العصبي.

- يمكن للشخصية الهيستريائية، الحدودية، المضادة للمجتمع والشكاكة أن تترافق معها (انطوائية).

الأسباب

حاليًّا لا تزال أسباب اضطراب الشخصية النرجسية غير معروفة على وجه الدقة ولكن هناك عدة نظريات وتفسيرات تشرح سبب نشوئها، ومنها:

- حساسية مفرطة منذ الولادة.

- التدخل الزائد من الأهل والتقييم المفرط منهم.

- الإعجاب الزائد وغير الواقعي من الأهل.

- السلوك غير المتوازن وغير المتوقع من الأهل.

- الإيذاء النفسي للطفل. حيث يسهم ذلك في تكوين ردود فعل خاصة واهتمام زائد بالذات وبحبها.

- الإطراء الزائد من الكبار للصفات الجسمية أو غير الجسمية للطفل.

- التشجيع الزائد للسلوك الجيد والتوبيخ الزائد للسلوك السيئ.

- من الوجهة التحليلية النفسية هناك علاقة مضطربة مع الوالدين؛ حيث يفشل الأبوان في بناء علاقة متعاطفة مع الطفل، وهذا يؤدي إلى شعور الطفل بأنه غير مهم، وأنه غير مرتبط بالآخر، ويُولِّد

ذلك اعتقاده بأن لديه عيوبًا في شخصيته تجعله دون قيمة وغير مرغوب فيه.

العلاج

يوجد في علاج اضطرابات الشخصية النرجسية عدة طرق مختلفة. ويتمحور العلاج النفسي بشكل أساسي. ولا يوجد هناك أدوية معينة خاصة بهذه الحالة ولكن بعض مجموعات الأدوية العامة قد

تفيد في علاج حالات الاضطراب من هذا النوع مثل مضادات الاكتئاب لتحسين الحالة المزاجية. وأهم أنواع العلاج النفسي الذي يمكن تقديمه:

العلاج المعرفي السلوكي: حيث يهدف لاكتشاف الأفكار والسلوكيات الخاطئة واستبدالها بأخرى صحية.

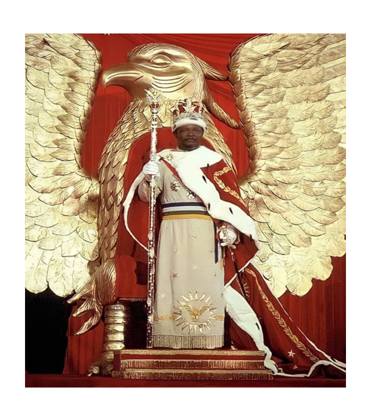
العلاج الأسري: حيث تشترك الأسرة كلها في الجلسات بهدف تعرف المشكلات ومواجهتها.

العلاج الجماعي: حيث يتقابل المريض مع آخرين يعانون نفس المشكلة بهدف تبادل الخبرات.

العلاج يتطلب صبرًا ووقتًا طويلًا؛ لأن الشخصية بمكوناتها تترسخ في الإنسان بمرور الوقت، ويكون الهدف القصير المدى هو التعامل مع المشكلات الخاصة بالإدمان أو ضعْف الثقة بالنفس والهدف طويل المدى تغيير القناعات والسلوكيات، وإعادة تشكيل الشخصية، وتغيير نمط الحياة.

جان بيدل بوكاسا

«لا أُحبذ أكل لحوم البشر؛ فإنها شديدة الملوحة».



كان ساحر القبيلة يقفز أمام النار المقدسة التي أشعلها بجوار الخيمة الكبيرة التي صُنعت من جلود النمور، أخذ يُتمتِم بتعويذته الخاصة دون صوت، مجرد همسات. إن القبيلة جميعها تُجزم بأنه على اتصال بالإله ويعرف كل الأسرار.

كان السكون والترقُّب يُخَيِّمان في جميع الأنحاء، إلا من صوت صرخات تلك السيدة التي تكاد أن تفقد رُوحها. الكل ينتظر تلك اللحظة منذ تسعة أشهر.

تعالَتْ صرخات الوليد الصغير، وتعالتْ معه الصيحات؛ إنه صبي. أمر الساحر أن يأتوا به حتى يرى ما يُخبِئه لهم القَدَر، ولما لا وهو الابن الأول لزعيم القبيلة؛ وهو مَنْ سيكون خليفة لوالده. حمل الساحر الطفل بين يديه، وما هي إلا لحظات حتى صاح غاضبًا: إنه مشئوم، ذلك الصغير سيجلب لنا الدمار. ثم انصرف مبتعدًا عنهم وهو يُردِّد: مشئوم ذلك الصغير!

لم تمضِ سوى بضع ساعات على ولادته، وسقط أبوه قتيلًا، ولم

تتحمل أمه صدمة موت أبيه، فانتحرت حُزنًا عليه.

ذلك الصغير هو (جان بيديل بوكاسا)

وُلد في إقليم أوبانجي شاري في قرية بابونجا، عام 1921. جاءت تسميته بهذا الاسم تكريمًا للقديس (جان بابتيست دي لا سال)، الذي احتُفِل بيومه في 22 فبراير على التقويم الكاثوليكي.

تعلَّم (بوكاسا) في المدارس التبشيرية(14)، وبحكم انتمائه للقبيلة التي تحتفظ بروابط شديدة القوة بالفرنسيين، انضم للقتال مع الفرنسيين وعمره 18 عامًا، شارك معهم في الحرب العالمية الثانية، وقاتل في صفوفهم في الحرب الهندية الصينية، وأظهر إخلاصًا غير معتاد وذكاءً لافتًا.

ظل (بوكاسا) يترقَّى في المناصب العسكرية حتى جاء التتويج الأكبر له عام 1960، حين نالت بلاده استقلالها عن فرنسا، فعيَّنه (دافيد داكوا)، رئيس الجمهورية الوليدة، قائدًا للجيش الناشئ. رجلان على رأس الدولة تابعانِ لفرنسا، هكذا تصوَّرت فرنسا في الأشهر الأولى لتولي (داكوا) الحكم، خاصةً أنه كان الرجل الثاني المتفق عليه شعبيًّا بعد مقتل (بوجاندا)، الزعيم الحقيقي الذي حمل لواء الاستقلال عن المستعمر، ومات قبل الاستقلال بأشهر قليلة في حادث تحطم طائرة.

لكن بعد تولي (داكوا) السلطة الحقيقية اكتشف الفرنسيون أنه ليس الرجل الخاضع الذي أرادوا. منذ البداية توجه (داكوا) إلى أحضان الصين، فعملت فرنسا على تسريع وتيرة الانهيار الاقتصادي في

البلاد، واستغلت عجز (داكوا) عن السيطرة على زمام الأمور داخليًّا، فرتبت انقلابًا للإطاحة به، وليس بالمفاجئ أن يكون المُنقلب هو رفيق الأمس.

كانت قوات بوكاسا تملأ الشوارع، في يوم الاحتفال برأس السنة عام 1965 مثلما يفعل المدنيون، بل لأن بوكاسا قرَّر أن الساعة الحادية عشرة مساءً ليلة رأس السنة هي الوقت المناسب لانقلابه كي تدخل البلاد العام الجديد بقيادة جديدة. حدث الانقلاب بسرعة وحُسِم.

وسُمِّيت هذه الواقعة (الانقلاب في سانت سيلفستر).

وبعدها أعلن نفسه إمبراطورًا لأفريقيا الوسطى، وفي الوقت

نفسه زعيم الحزب الوحيد بالبلاد وهو (حركة التطور الاجتماعي في أفريقيا السوداء).

وكان حفل تتويج (بوكاسا) أسطوريًّا بتكلفة ضخمة تتجاوز دخل بلاده الإجمالي، وأطلق على نفسه (بوكاسا الأول)، وأعلن تنصيب ابنه وليًّا للعهد، واستخدم في الحفل طقوسًا لا ترجع لتراث بلاده، ولا تتميز بالعصرية؛ فقد أمر بصنع تاج له، وكان يحتوي ألفي ماسة من أفضل مجوهرات العالم، وارتدى ملابس أشبه بعصر (نابليون بونابرت)، وكانت تحيط به فرسان كفرسان القرن التاسع عشر، وجرى شراء السيارات الأجنبية والخيول البيضاء وعباءة النمر والعرش على شكل نسر يزن طنين.

بعد ذلك التتويج تزايد لديه شعور مُبالَغ فيه بالأهمية، وبأنه يجب أن يكون محط إعجاب الجميع وتتجه إليه كل الأعين؛ لأنه الناجح والقوي والمتألق.

وهذا ما يسمى في أغلب الأحيان باضطراب الشخصية النرجسية.

بعد ذلك بدأ (بوكاسا) في خصخصة شركات القطاع العام، ليس بيعها للمستثمرين الأجانب، بل لحسابه الشخصي، شركةً تلو الأخرى، حتى صارت جمهورية أفريقيا الوسطى بالكامل ملكية شخصية وخاصة للإمبراطور وعائلته فحسب.

لاحقًا أصدر قرارًا بأن يرتدي تلامذة المدارس وطلاب الجامعات زيًّا موحدًا، والأغرب أنه في نفس القرار نصَّ على أن يكون المصدر الوحيد لهذا الزي هو مصنع محدد ملكًا للإمبراطورة كاثرين زوجة الإمبراطور (بوكاسا).

خرجت المظاهرات الغاضبة من ذلك القرار المجنون، لم يبالِ بها الإمبراطور، أصدر قراره باعتقال بعض المشاركين فيها دون النظر لعمرهم. أمر الإمبراطور بإيداع المعتقلين في سجن نجاراجيا([(15)](#))، ثم عُثر لاحقًا على قرابة 100 جثة من هؤلاء المعتقلين بعضهم أطفال لا يتجاوز عمرهم العشر السنوات. وكان القاسم المشترك بين تلك الجثث، غير القتل المتعمد، أن جميعها تظهر عليها آثار تعذيب، وضرب مُبرح وخنْق.

بدأت المزيد من الغرائب في الظهور، من أبرزها اتهامات بأنه يأكل لحوم البشر، وأنه كان يحتفظ في ثلاجته ببعض اللحوم البشرية لتقديمها لضيوفه. منبع تلك الادعاءات بعض الصور التي نشرتها مجلة فرنسية تُظهر فيها جثث أطفال المدارس الذين قتلوا موجودة في إحدى الثلاجات، وعلَّقت بأن (بوكاسا) يحتفظ بها ليلتهمها. لكن (بوكاسا) لاحقًا نفى تلك الادعاءات قائلًا: إن الجثث في ثلاجة المشرحة فحسب وأنه لا يحبذ أكل اللحوم البشرية؛ لأنها مالِحة.

الموت لم يكن هو الشيء المُرعب الوحيد في عهد (بوكاسا)، بل الجنون أيضًا. كان الرجل يظهر مرتديًا زيه الرسمي، واضعًا جميع الأوسمة العسكرية والنياشين الرسمية على صدره، ناعتًا نفسه (فليد مارشال)[(16)](#). وأعلن أكثر من مرة أنه يريد أن يمتلك قنبلة ذرية، ليكون أول قائد أفريقي يعلن تلك الرغبة، بجانب أن بلاده كانت أكثر فقرًا من أن تمتلك سلاحًا عاديًّا فضلًا عن القنبلة الذرية.

هنا وجد الفرنسيون أن كلفة الاحتفاظ بـ(بوكاسا) باتت أكثر مما يُقدِّمه لهم، وأن بإمكانهم الإتيان بشخص آخر أكثر هُدوءًا، خاصةً أن الوضع في أفريقيا الوسطى بات أشبه بالقنبلة الموقوتة. تجارة الألماس التي كانت سِرَّ عشق فرنسا للجمهورية السمراء تدهورت بسبب قرارات (بوكاسا)، العسكريون والمدنيون لا يتقاضون رواتبهم.

وفي 20 سبتمبر 1979 وفي أثناء وجوده في ليبيا دعم الفرنسيون (داكوا) لينقلب على (بوكاسا) مرةً أخرى، وهبطت قوات مظليين فرنسيين، وأعادت هذه القوات الحكم الرئاسي لجمهورية أفريقيا الوسطى، وعُيِّن (داكوا) رئيسًا للبلاد مرةً أخرى.

تم نُفي (بوكاسا) إلى كوت ديفوار عددًا من السنين قبل أن ينتقل لفرنسا. (بوكاسا) كان من محبي ليبيا عامةً، والعقيد معمر القذافي خاصةً، لدرجة أن (بوكاسا) أعلن دخوله في الإسلام إرضاءً للقذافي، ثم لاحقًا تحوَّل عن الإسلام بعد أن توترت العلاقات بينه وبين القذافي.

ثم عاد إلى جمهورية أفريقيا الوسطى في عام 1986، وقُدم للمحاكمة بتهمة الخيانة والقتل. وأُعلنت تبرئته في عام 1987 من تهمة أكل لحوم البشر، ولكن أُدِين بقتل تلاميذ المدارس وغيرها من الجرائم. خُفف حكم الإعدام لاحقًا إلى المؤبد في الحبس الانفرادي، ولكن أطلق سراحه في عام 1993، بعد ست سنوات فقط. عاش

حياة منعزلة في عاصمته السابقة بانغي، وتُوفِّي في نوفمبر 1996.

الفصل الثامن الشخصية السيكوباتية (psychopathy personality)

هو اضطراب يُظهر فيه المصاب أنماطًا من التلاعُب وانتهاك الآخرين، هذا السلوك يتعارَض مع قواعد وسلوكيات المجتمع، الشخص السيكوباتي هو شخص مُصاب بمرض عقلي يتصَّرفُ بطيشٍ واستعلاءٍ وتكبُّرٍ وتطاولٍ على الآخرين.

وهو يجيد تمثيل دور (إنسان عاقل)، ويستخدم ذكاءه في التأثير في الآخرين، والتلاعب بعقولهم لدرجة استلابهم فكريًّا، ويتلذَّذ بإلحاق الأذى بمن هُم في محيطه، وهو عذب الكلام، ويتقن الكذب، ولا يفي بوعوده رغم إظهار شهامته، وعندما تتأمل تصرفاته -لمدة كافية- وتبدأ في ربطها وتجميعها وتحليلها تُدرك أنه شخص مخادِع.

ولو قمت بالتحري عنه من أحد المقربين له -ممن عايشه أو زامله- سيخبرك بأن حياته كانت شديدة الاضطراب وممتلئة بتجارِب الفشل والتخبُّط والأفعال غير السوية. الأنا متضخمة لدى هذا الشخص، ولا يهمه إلا نفسه وملذاته، لكونه يشعر بأنه عبقريٍ، وهو أفضل من جميع الأشخاص المحيطين به في المنظمة.

الكارثة تحدث عندما يتسلَّق لمنصب قيادي مهم -يُعزِّز لديه الشعور بالأهمية- فيزيد في غروره واستعلائه، ويمارس طقوس عبادة الشخصية (Personality Cult)، حيث يستمتع بتكوين التحالفات، واستخدام كل وسائل الدعاية والنفوذ في تفخيم نفسه. ويساعده في ممارسة هذه الطقوس بعض الأشخاص الذين يستمتع بتمجيدهم له وثنائهم المفرط عليه بشكل مستمر. ونتيجة لانعدام الضمير لديه فهو يتآمر على كل من لا يسهم في تفخيمه وتنفيذ رغباته، ولا يشعر بالذنب إذا أخطأ أو ظلم.

وملامح الشخصية السيكوباتية تظهر لدى هذا النوع منذ الصغر، نتيجة الطفولة القاسية والحرمان الذي نشأ فيه.

هذا الاعتلال النفسي يقود الشخص السيكوباتي إلى توسيع دائرة الانتقام -من الأشخاص في محيطه- لتتوسع إلى الانتقام من الأشخاص في المجتمع بأكمله؛ وهذا ما يسمى في علم النفس

(Antisocial Personality Disorder).

ومن أهم صفات هذه الشخصية:

التصرُّف باندفاع، والسلوكيات غير المسئولة، المشاركة في الكذب والخداع باستمرار، انعدام الندم والخجل وتأنيب الضمير، تمركز مرضي حول الذات، حِدَّة الطباع والتصرف بعدوانية، صعوبة التمييز بين الصواب والخطأ، تجاهل وانتهاك حقوق الآخرين وإيذائهم، مشكلات متكررة مع القانون، تجنب الامتثال للمعايير والتوقعات السائدة في المجتمع، التظاهُر بحب المجتمع، رغم حقدِه عليه في اللاوعي ومعاداته له.

ولكن ما أسباب حدوث الاعتلال النفسي؟

لا يمكننا معرفة أسباب الاعتلال النفسي، أو الشخصية السيكوباتية، ولكن يشير بعض الأطباء النفسيين إلى أنها مزيج من العوامل الوراثية، والعوامل البيئية، والتي تشمل:

- **الجينات الوراثية**

يلعب التاريخ العائلي دورًا في الإصابة باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، أو التعرض لأمراض عقلية أخرى.

- **اضطراب السلوك**

لا يمكن تشخيص الشخصية السيكوباتية قبل بلوغ المريض 18 عامًا؛ ولذلك من المحتمل أن يكون اضطراب السلوك يدل على الإصابة باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

• التعرض للصدمات

التضارُب في معاملة الطفل والإهمال والإساءة في طريقة التربية، من المحتمل أن يعرضه إلى هذا النوع من الاضطرابات.

• الطفولة غير المستقرة

الأطفال الذين ينشئون في بيئات غير مستقرة، يسودها العنف والمشكلات الأسرية، يجعلهم في خطر أكثر تعرُّضًا للاعتلال النفسي، والتركيز على عقاب الطفل، بديلًا عن المكافآت.

أنواع الشخصية السيكوباتية:

المُعتل المتقلب العاجز: فهو أشبه بالشخص العاجز، ولكنه أناني، مُتقلِّب المزاج، ويتخلل أعماله المشاحنات وافتعال المشكلات، رغم

تمثيله الاتزان والتعاطف على موظفيه، وغالبًا ينساهم بعد تحقيق أهدافه.

المعتل العدواني المتقلب في انفعالاته: وهذا النوع أقل شيوعًا من النوع الأول، ولكنه أكثر منه سوءًا، لكونه انتهازي، ومبدؤه (الغاية تبرر الوسيلة)، ويدوس على كل من يقف في طريقه.

وقد ينجح بعض هؤلاء في استخدام ذكائهم وتحالفاتهم غير الرسمية في الوصول إلى بعض المناصب، ولا يعبأ بالأخلاق والقيم، والمبادئ.

تشكل مضاعفات وخطورة السيكوباتية بعض التصرفات والسلوكيات:

- السلوك العدواني والعنف البدني واللفظي.

- السلوكيات الجنسية الخاطئة.

- إدمان المخدرات وشرب الكحوليات.

- الإساءة إلى الأطفال.

- مواجهة صعوبة في العلاقات.

- التعرض للحبس أو الحجز.

- التفكير في الانتحار.

- مواجهة صعوبة في العلاقات الاجتماعية.

- التعرض للمشكلات في المواقف الحياتية.

- التعرُّض للتشرُّد وتدنِّي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

وتشمل طرق علاج الشخصية السيكوباتية، من خلال:

العلاج النفسي

تعالج الشخصية السيكوباتية عن طريق جلسات طبية مع الطبيب النفسي، والتي تستهدف تشخيص المريض، وكيف يؤثر هذا الاضطراب في حياته وعلاقاته مع الآخرين، ويستهدف:

- تغيير أنماط الحياة التي يستخدمها الشخص السيكوباتي.

- تغيير طريقة تفكيره وتصرفاته التي يستخدمها مع الآخرين.

- تطوير إستراتيجيات تُقلِّل من شِدَّة أعراض الاضطراب.

العلاج الدوائي

نادرًا ما يُعالَج الاعتلال النفسي بالعقاقير الطبية، ولكن يمكن أن يكون الدواء جزءًا من العلاج، إذا كان المريض يعاني بعض الأمراض النفسية، مثل الاكتئاب والقلق، وتظهر عليه أعراض عدوانية

تستوجب الأدوية المهدئة، مثل:

- مثبطات المزاج.

- مضادات الاكتئاب.

- الأدوية المضادة للقلق.

- أدوية الذهان.

ومن الجدير بالذكر أن علماء النفس اختلفوا فيما إذا كان اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع واضطراب الشخصية السيكوباتية؛ هما مسميان مختلفان للاضطراب ذاته، لكن أغلبهم اتفقوا على أنهما اضطرابان مختلفان تمامًا، ولكن بينهما العديد من السمات المشتركة.

معمر القذافي

«أنا زعيم دولي، وعميد الحُكَّام العرب، وملك ملوك أفريقيا وإمام المسلمين، وضعي الدولي لا يسمح لي أن أنزل إلى مستوى أدنى».



وقف واجمًا أمام المرآة التي يظهر بها بجسده كاملًا، أصلح بذلته العسكرية، هَزَّ كتفه، رأى النياشين تملؤُها كما تملأ النجوم السماء الصافية في ليلٍ بهيج. تحدَّث إلى نفسه قائلًا: الذين لا يفهمون عبقريتك يسرعون إلى نعتِك بالجنون عن أي جنون يتحدث هؤلاء الحمقى، لا أحد يستطيع أن يجذع أنفي لا عاديات الزمان ولا تصاريف القَدَر ولا الله، أنا من خلق ليبيا وأنا سوف أفنيها،

لن يهزمني أحد، الآلهة لا تُهزم، من يجرُؤ أن يقف في وجهي؟ من يستطيع أن يتحدى القدر؟ أنا الموج والموت، أنا سيد الصحراء ولن تهزمني الأفاعي الصغيرة التي اعتدت على سَحْقها منذ طفولتي. قطع سيل ذكرياته صوت ابنه المعتصم وهو يهرول إليه قائلًا:

«سيدي، علينا أن نسير إلى سرت هذه الليلة؛ فالوضع بات لا يُطمئن، لا نريد أن نجازف أكثر من ذلك». نظر إليه ولم يُعقِّب على كلامه.

قبل ذلك بعدة أيام كان له خطاب لم يستطع أن يُفسِّره أحد تفسيرًا عقلانيًّا، إنما هو درب من الجنون.

«إن كانت لكم ذاكرة، لقد استلمت ليبيا وفيها ثلاثة ملايين والآن فيها ستة ملايين، ومستعد لأعيدها كما استلمتها، سأقتل الملايين الثلاثة التي أنجبتُها، سأقتل هؤلاء الأبناء العاقين لكي يعيش من تبقَّى ممن أحبني وعاش لأجلي، لست رئيسًا عاديًّا حتى أستقيل، بل أنا مجد ليبيا وقائد ثورتها وزعيمها العظيم». هذه الجملة تحديدًا التي وَرَدَتْ في خطاب مُعمر القذافي يوم 22 فبراير من العام 2011 من أمام منزله الكائن في طرابلس.

الذي هدَّدَ فيه شعبه بالإبادة الجماعية، قبل أن ينفذها حرفيًّا هذا الزعيم غير المتكرر، ليس في صفاته الإيجابية، ولا في حُسْن تسييره للشأن الليبي أو في حِفْظ مُقدَّرَاته، وإنما في مدى إصابته بخليط هائل من عدة أمراض نفسية، واحتكار السلطة، وادعاء صفة التنظير والتفلسُف الأعمى.

إنه «مُعمر محمد عبد السلام القذافي، ولد في 7 يونيو 1942. كان هو الابن الوحيد لعائلة بدوية تمتهن رعي المواشي والإبل في منطقة صحراء سرت. عند وفاته كان القذافي أغنى رجل في العالم بثروة تُقدَّر بمائتَي مليار دولار».

القذافي قائد الثورة الليبية حكم ليبيا أكثر من 40 عامًا، توحَّد

مع السلطة، أكسبته هذه السلطة المُطلقة والحُكم مدة طويلة تغييرًا في المعرفة والأفكار وخلَلًا في المنظومة الفكرية، والعديد من الأمراض النفسية التي لا يُدركها ولا يعيها، وليس لديه أي بصيرة

عنها، مما يؤكد علميًّا أنه ينطبق عليه كل مواصفات الشخصية (السيكوباتية) المعادية للمجتمع التي تمثل خطرًا حقيقيًّا على مَنْ حوله.

ملامح وجهه الجامد، والجيوب المنتفخة أسفل عينيه التي دفعت البعض للاعتقاد بتعاطيه (حبوب هلوسة)، وشعره الأسود الأشعث المتدلي أعلى أذنيه.

فشخصية القذافي من الجانب النفسي هي شخصية هستيرية، مُركَّبة، يشوبها العديد من الاضطرابات النفسية، التي تتضح بداية من ملابسه الفولكلورية مرورًا بلغة جسده وإيماءاته وصولًا إلى خطاباته التي أصبحت مجالًا للسخرية. فمن الوهلة الأولى التي يظهر فيها القذافي مُرتديًا ملابسه الغريبة والمختلفة تتضح رغبته في الظهور ولفت الانتباه، وحب الاستعراض إرضاءً لذاته وتضخُّم شعوره بها، اعتمادًا على ضلالاته الفكرية الخاصة واعتقاده فيها بأمجاده وأمجاد أجداده، وشعوره بالاختلاف والتفرُّد والتميز، مما يؤكد على تضخم الأنا لديه.

يلي ذلك لغته الجسدية، وإيماءاته الحركية التي تدل على أنه شخصية مضطربة غير قادرة على التوافق أو التكيف، وتقبُّل الوضع الراهن، أو حتى التحكم في انفعالاته الناتجة عن حالة خوف شديدة يحاول إخفاءها خلف هذه الانفعالات والتهديدات لمعارضيه، تحمل خلفها دلالات عن توتره الشديد إزاءهم وقلقه من أن يفقد الزعامة التي صنعها طوال عقود.

لكنه يخشى أن يظهر بمظهر الضعيف غير القادر على إدارة الأمور؛ فطبيعة شخصيته النرجسية التي تتسم بالتعالي، تفرض عليه أن يكون محور الارتكاز، ومحط الأنظار، ومصدر القوة والسلطة الوحيد. لا يوجد غيره على الساحة، ولن يسمح بظهور آخرين، ومعارضوه ليسوا من أبناء شعبه، بل هم مرتزقة، أو ضمن تنظيم القاعدة، حتى يُكسب نفسه مشروعية قتلهم ومحاربتهم، ويفرض ذلك على أعوانه ومؤيديه، وهذا يعكس أفكاره الخاصة وهلاوسه وضلالاته الفكرية، فمن المستحيل أن يدرك أن شعبه الذي يعُدُّ

نفسه هدية له وأنه لا يستحقه، قادر على فعل ذلك إلا نتيجة عوامل خارجية تؤثر فيه.

دائمًا كانت تُظهر خطابات القذافي حالة من التوتر والترقب، التي حاول إخفاءها تحت عبارات التهديد والترويع لمعارضيه، ووصفهم بالجرذان والكلاب الضالة، وأنهم يتعاطون حبوب الهلوسة التي تجعلهم غائبين عن الوعي ولا يدركون تصرفاتهم. ويُعد ذلك حالة إسقاط نفسي عن عدم قدرته الشخصية على إدراك الوضع الحالي وعدم وعيه بها ورفضها، فيحاول أن يصفَ معارضيه بهذه الصفات على أنهم غير واعين أو مدركين ما يفعلون.

كان القذافي يفتقد للأمان النفسي. لا يقتصر الشذوذ والاختلاف في التصرفات ولغة خطاب القذافي فقط، بل يتعدى ذلك إلى سمات شخصيته، فالأكثر غرابةً في حياته، الحارسات الملازمات له، فحارساته الشخصية من النساء الجميلات يُقسمن على الولاء لحياته، ويختارهن بعناية خاصة وفْق معايير محددة، أهمها أن لا يتعدى سِنَّهن العشرين عامًا، والعذرية وعدم الزواج، وتوفر قدْر معين من الجمال، والقوام الفارع والبنية القوية الشبيهة ببنية الرجال، والولاء المُطْلق لـه، وهذا مبدئيًّا يتنافى مع ما ذكره في كتابه الأخضر بأن مكان النساء هو البيوت؛ لأن تكليفهن بوظائف الرجال يفقدهن أنوثتهن وجمالهن.

لكن هذا يؤكد رغبته في التفرُّد والاختلاف والتمييز عن باقي الشعب وعما يعلنه هو بذاته، ووجود حارسات شخصيات خاصات به، له دلالة قوية وهي تأكيد الجانب الأنثوي في شخصيته، ورغبته في الحماية الأنثوية، كما لو كانت حماية أمومية والشعور بالأمان الذي يفتقده. وإطلاقه عليهن جميعًا اسم (عائشة)، والتفريق بينهن بالأرقام تيمُّنًا بابنته، فهي الابنة الوحيدة له؛ أي أنها هي الأنثى الوحيدة في حياته التي يشعر معها بالأمان والاستقرار، خصوصًا وأن زوجته الأولى قد انفصل عنها عندما أصبح قائدًا للثورة الليبية، واعتبرها لا تليق به في هذه المرحلة، وزوجته الثانية تتسم تحركاتها بالتكتم، وليس لها وجود يذكر على الساحة الليبية.

قد كان مثالًا صارخًا للتوحُّد مع الذات وجنون العظمة.

القذافي نتاج مرحلة تاريخية مرَّت على العالم العربي تحت ظلال

مشروع القومية العربية، أو المشروع الناصري الذي مثل النموذج في عقليته، ولم يتمكن من تجاوزها، رغم انهيار الفكرة نفسها بعد وفاة جمال عبد الناصر، فظلَّ موحدًا بشكل نفسي مع تلك

الفترة التاريخية. يتضح ذلك في تعريف نفسه بأنه قائد الثورة، وليس رئيسًا، بل هو زعيم، هو من يسنُّ القوانين ويضع الدستور من خلال كتابه الأخضر الذي اعتمد عليه في إدارة البلاد، ولا يُغفل أيضًا تنصيب نفسه عميد الحكام العرب، وكذلك ملك ملوك أفريقيا وإمام المسلمين، فهو يحاول فرض الزعامة والبحث عنها في كل الجوانب السياسية والدينية، لكي يصنع لنفسه كاريزما خاصة. يظهر ذلك على سبيل المثال في أسماء أولاده، (سيف الإسلام)، و(سيف العرب) لتأكيد رغبته في زعامة العالم العربي والعالم الإسلامي.

وفي خطابه الأخير الذي حرّض فيه الآباء على أبنائهم من شباب الثورة الليبية، أعطى انطباعين غاية في الخطورة؛ الأول: أنه ما زال يعاني التوحد النفسي مع الجيل المعاصر لثورته القديمة، وعدم وعيه بالمتغيرات النفسية التي طرأت على الجيل الليبي الجديد. والثاني: اعتقاده الضلالي الذي يقارب اليقين أن ثورة الشباب لم يشارك فيها أحد من معاصريه أو جيله القديم؛ مما يؤكد على انعزاله النفسي وتوحُّده مع ذاته، وعدم قدرته على الفهم أو التواصل مع شعبه الذي حكمهم طوال أربعة عقود متوالية.

وقد جاءت نهايته المأساوية مُعبِّرة عن حياته التي لم تكن تتزين ولو بجزء صغير من الحياة الطبيعية.

بعد سقوط طرابلس في أغسطس 2011؛ هرب القذافي وعائلته من العاصمة الليبية، وحينها تداولت الشائعات بأنَّ معمّر قد لجأَ إلى جنوب البلاد؛ قبل أن يتبيَّن أنه فرَّ في قافلة صغيرة إلى سرت.

وفي يومِ 20 أكتوبر 2011، لجأَ القذافي إلى أنبوب صرفٍ كبيرٍ مع عدد من الحراس الشخصيين لكنَّ قوات المجلس الانتقالي عثرت عليهم، وقامت بإطلاق النار، وأصيب القذافي حينها في ساقيه وظهره، بعد ذلك اقتربت مجموعةٌ من الثوار من أنبوب الصرفِ الذي كان يختبئ القذافي فيه وأمروه بالخروج ففعلَ بِبُطْء وهو يردد في حالة ذهول وصدمة وهو ينزف من جروحه: «من فضلك لا تطلق النار» قبلَ أن يجروه من قدميه، وقد انهالوا عليه ضربًا ثم قتلوه ومثَّلوا بجثته.

الفصل التاسع الصَّرَع (conflict)

النوبة الصَّرعية هي اضطراب كهربائي مفاجئ في الدماغ لا يمكن السيطرة عليه. يمكن أن تُسبِّب النوبة تغيُّرات في السلوك أو الحركة أو المشاعر، وكذلك في مستويات الوعي. والصرع بصفة عامة هو التعرض لنوبتين أو أكثر يفصل بينها 24 ساعة على الأقل، ولا يحفز تلك النوبات سبب معروف.

ورغم تعرُّض مريض الصرع لنوبات (Seziures نوبة الصرع)؛ فإن هذه النوبات قد تُصيب الفرد لأسباب عدة غير الصرع، وفي الواقع فإن مرض الصرع بحد ذاته لا يؤثر في العقل، ولكن يمكن أن تؤثر النوبات المصاحبة له في العقل، وذلك عند الإصابة بنوبة ترسل إشارات غير طبيعية عبر الخلايا العصبية للدماغ، ومن شأن ذلك أن يسبب الضرر لهذه الخلايا ويؤثر في العقل، وذلك يحدث عند تكرار الإصابة بأنواع معينة من النوبات، إن نوبة الصرع قد تؤثر في مجموعة من خلايا الدماغ المختلفة، منها: الفص الصدغي للدماغ، والمادة الرمادية (Gray matter)، وهي أجزاء مسئولة عن الذاكرة والتفكير في الدماغ؛ مما يسبب تراجعًا في وظائف الدماغ.

توجد أنواع عديدة من النوبات، وهي تختلف في أعراضها وشدتها، كما تختلف أنواع النوبات حسب منشئها في الدماغ ومدى انتشارها. تستمرُّ معظم النوبات من 30 ثانية حتى دقيقتين. أما النوبة التي تستمر لفترة أطول من خمس دقائق فتُعد حالة طبية طارئة.

أصبحت نوبات الصرع أكثر شيوعًا من أي وقت سابق؛ فقد تحدث النوبات بعد التعرُّض للسكتة الدماغية، أو إصابة الرأس المغلقة، أو العدوى، أو مرض آخر. وعلى الرغم من ذلك؛ فإن سبب حدوث النوبة يكون عادةً غير معروف.

يمكن التحكُّم في معظم اضطرابات النوبات باستخدام الأدوية، ولكن يمكن أن تؤثر كيفية التعامل مع النوبات تأثيرًا كبيرًا في حياتك اليومية. ومما يدعو إلى التفاؤل أنه يمكنك التعاون مع طبيبك من أجل الموازنة بين السيطرة على النوبة والآثار الجانبية للدواء.

الأعراض

تتراوح مؤشرات النوبة وأعراضها من خفيفة إلى شديدة، وتعتمد على نوع النوبة. قد تشمل مؤشرات النوبة وأعراضها:

- التشوش المؤقت.

- التحديق في الفراغ.

- انتفاضات بالذراعين والساقين خارجة عن السيطرة.

- فقدان الوعي أو الإدراك.

- أعراض معرفية أو نفسية، مثل الخوف أو القلق أو وهم سبق الرؤية (الديجا فو).

يصنِّف الأطباء النوبات بصفة عامة إلى بؤرية ومعمَّمة، بناءً على الطريقة التي يبدأ بها نشاط الدماغ غير الطبيعي والمنطقة التي بدأ منها، كما يمكن تصنيف نوبات الصرع إلى نوبات مجهولة المنشأ؛ إذا لم تُعرف طريقة بَدْء النوبة.

النوبات البؤرية

تنجم نوبات الصرع البؤرية عن نشاط كهربي غير طبيعي في منطقة واحدة من الدماغ. يمكن أن تحدث نوبات الصرع البؤرية مع فقدان الوعي أو من دونه:

النوبات البؤرية المصحوبة بضعف الوعي. تشمل هذه النوبات حدوث تغيُّر أو فقدان في الوعي أو الإدراك يجعلك تشعر كأنك في حلم. قد تبدو متيقظًا، لكنك تحدق في الفراغ ولا تستجيب بشكل

طبيعي لما يدور حولك، أو ربما تصدر عنك حركات متكررة مثل فرْك اليدين أو المضغ أو البلع أو تكرار كلمات معينة أو المشي في دوائر. ربما لا تتذكر النوبة أو لا تدرك حتى أنها حدثتْ.

النوبات البؤرية غير المصحوبة بفقدان الوعي. قد ينتج عن هذه النوبات تغير في المشاعر، أو تغير في شكل الأشياء أو رائحتها أو ملمسها أو طعمها أو صوتها، لكنك لا تفقد الوعي. ربما تشعر بالغضب أو السعادة أو الحُزْن فجأة. وقد يُصاب بعض المرضى بالغثيان أو مشاعر غير معتادة يصعب وصفها، كما يمكن أن تؤدي هذه النوبات إلى صعوبة في الكلام وحدوث نفضات لا إرادية في أجزاء من الجسم، مثل الذراع أو الساق، بالإضافة إلى أعراض حسية عفوية، مثل الوخز والدوار ورؤية أضواء وامضة.

وقد يُخلَط بين أعراض نوبات الصرع البؤرية وبعض الاضطرابات العصبية الأخرى، مثل الشقيقة (الصداع النصفي)، أو التغفيق، أو الأمراض العقلية.

نوبات الصرع المُعممة

تُعرف النوبات التي تبدو أنها تُصيب جميع أجزاء الدماغ بالنوبات الصرعية المتعمِّمة. وتشمل الأنواع المختلفة للنوبات الصرعية المتعمِّمة ما يأتي:

- نوبات صرعية مصحوبة بغيبة: غالبًا ما تحدث النوبات الصرعية المصحوبة بغيبة -المعروفة سابقًا بنوبات الصرع الصغير- للأطفال، وتتميز بالتحديق في الفراغ أو حركات الجسم الرقيقة، مثل الرمش بالعينين أو لعق الشفتين. تستمر هذه النوبات عادةً لمدة 5 إلى 10 ثوانٍ، لكنها تحدث ما يصل إلى مئة مرة في اليوم. وقد تحدث هذه النوبات في شكل مجموعات، وتسبب في فقدان الوعي لفترة وجيزة.

- النوبات الصرعية التوترية: تسبب النوبات الصرعية التوترية تيبُّسًا في العضلات. وعادةً ما توثر هذه النوبات في عضلات الظهر والذراعين والساقين، وقد تتسبب في فقدان الوعي والسقوط على الأرض.

- **النوبات الصرعية الونائية**: تسبب النوبات الصرعية الونائية، المعروفة أيضًا بنوبات الصرع المصحوبة بالسقوط، فقدان السيطرة على العضلات؛ ما قد يؤدي إلى انهيارك أو سقوطك على الأرض أو سقوط رأسك فجأة.

- **النوبات الصرعية الرمعية**: ترتبط النوبات الصرعية الرمعية بتكرار حركات عضلية ارتعاشية متكررة أو منتظمة. وعادةً ما تصيب هذه النوبات الرقبة والوجه والذراعين في كلا جانبي الجسم.

- **النوبات الصرعية الرمعية العضلية**: عادةً ما تظهر النوبات الصرعية الرمعية العضلية على شكل نفضات أو تشنجات قصيرة ومفاجئة في الذراعين والساقين. وفي الغالب لا يفقد المصاب وعْيَه في هذه الحالة.

- **النوبات الصرعية التوترية الرمعية**: النوبات الصرعية التوترية الرمعية، المعروفة سابقًا بنوبات الصرع الكبير، هي أصعب أنواع

النوبات الصرعية، ويمكن أن تسبب فقدانًا مفاجئًا للوعي، وتصلبًا أو رعشة بالجسم، وفي بعض الأحيان تسبب فقدان القدرة على التحكم في المثانة أو عض اللسان. وقد تستمر هذه النوبات لعدة دقائق.

الأسباب

تولِّد خلايا الأعصاب (الخلايا العصبية) في الدماغ نبضات كهربية وترسلها وتستقبلها؛ ما يسمح بالتواصل بين الخلايا العصبية في الدماغ. وقد يتسبب أي شيء يعطل مسارات الاتصال هذه في التعرُّض لنوبة. وقد تتسبب الطفرات الوراثية في حدوث بعض أنواع الاضطرابات الاختلاجية.

والسبب الأكثر شيوعًا في التعرض للنوبات هو الصرع. لكن ليس كل شخص يمر بهذه النوبات يُعدُّ مريضًا بالصرع؛ فالنوبات تحدث أو تُحفَّز أحيانًا بسبب ما يأتي:

- الحُمى الشديدة، التي قد تكون مصاحبة لعدوى مثل التهاب السحايا.

- قلة النوم.

- الأضواء الوامضة، أو الأنماط المتحركة، أو المنبهات البصرية الأخرى.

- انخفاض مستوى الصوديوم في الدم (نقص صوديوم الدم) الذي يمكن أن يحدث عند تناول العلاج المدرّ للبول.

- أدوية مثل بعض مسكنات الألم، أو مضادات الاكتئاب، أو علاجات الإقلاع عن التدخين المخفضة لحدّ النوبات.

- إصابة الرأس التي تسبب نزيفًا في الدماغ.

- تغيرات غير طبيعية للأوعية الدموية في الدماغ.

- الاضطرابات المناعية الذاتية، وتشمل الذئبة الحُماميَّة المَجموعية والتصلب المتعدد.

- السكتة الدماغية.

- ورم في الدماغ.

- تعاطي المخدرات الترفيهية، مثل أمفيتامين (منبه عصبي) أو الكوكايين.

- إساءة استخدام المشروبات الكحولية في أثناء فترات الامتناع عن التعاطي، أو التسمم الشديد بها.

المضاعفات

في بعض الأحيان، قد يؤدي التعرُّض لنوبة صرَع إلى ظروف تشكِّل خطورة عليك أو على الآخرين؛ فقد تتعرض لخطر:

- **السقوط**: عند السقوط في أثناء نوبات الصرع، يمكن أن تتعرض لإصابة في الرأس أو كسر في العظام.

- **الغرق:** إذا تعرضت لنوبة صرع في أثناء السباحة أو الاستحمام، فقد تكون عرضة لخطر الغرق.

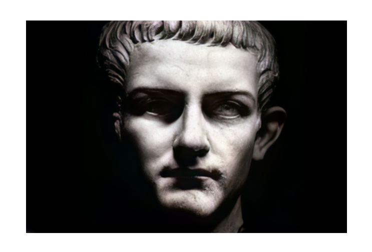
- **حوادث السيارات**: يمكن للنوبة التي تتسبب في فقدان الوعي أو السيطرة أن تُشكل خطرًا عليك إذا كنتَ تقود سيارة أو تشغِّل معدات أخرى.

- **مضاعفات الحمل**: تشكل النوبات التي تحدث في فترة الحمل خطرًا على الأم والجنين، وتزيد بعض الأدوية المضادة للصرع من خطر الإصابة بعيوب خلقية.

- **مشكلات الصحة النفسية**: إن الأشخاص الذين يتعرضون لنوبات الصرع أكثر عُرضة للإصابة بالمشكلات النفسية، كالاكتئاب والقلق. وقد تحدث هذه المشكلات نتيجة للصعوبات التي يواجهها المريض في التعامل مع الحالة نفسها، وكذلك نتيجة للآثار الجانبية للدواء.

كاليجولا

«لا أرتاح إلَّا بين المَوْتى».



وقف في منتصف غرفته الواسعة، يدور حول نفسه شارد الذهن زائغ العينين، يُحملق في الفراغ، يضحك ويغضب في آنٍ واحد، وهو يُردِّد: «هكذا لن يتذكرني التاريخ، وكيف يذكر التاريخ إمبراطورًا لم يحدث في عصره لا مجاعات ولا أوبئة؟!». ثم سكت لبرهة وظلَّ يضحك وهو يُردِّد: «سأكون أنا بديلًا لكم عن الطاعون».

وعلى الفور أمر مُستشاريه بغلق جميع مخازن الغلال التابعة للإمبراطورية، وعدم بيع أي شيء منها إلا بأمر منه.

مع مرور الأيام بدأت أحوال البلاد في التدهور السريع، وسيطرت حالة من الذعر ظهرت جليًّا على الوجوه الشاحبة، المئات من الجياع يتجولون في الأنحاء، يشتهون لقمة خبر.

لقد وقعت البلاد بين براثن مجاعة لم يكن لها أي مقدمات.

وفي باحة المدينة كان يجلس الإمبراطور على عرشه المُذَهَّب ليشاهد أمتع اللحظات التي كان يُحبُّها وهي قطع رءوس كل من تُسول له نفسه أن يرتكب جريمة، ومن بين هؤلاء التعساء كان هُناك رجل قد حُكم عليه بقطع رأسه؛ لأنه تجرَّأ وسرق كيسًا من القمح لكي يُطعم أبناءه، ولكن لن تُقطع رأسه وحده، سوف يُقتل جميع أفراد عائلته. بدأت حشود الناس تتزايد يتحسرون على حال الرجل، لكن لا أحد يجرؤ على التدخل حتى لا يلقى نفس مصيره، بدأ الجلاد وحسب أوامر الإمبراطور بقطع رأس الرجل ثم زوجته ثم ولديه الاثنين، وحان دور تلك الطفلة التي لم تتجاوز العاشرة من عُمرها، هُنا تعاطف الناس معها وقالوا: «أيها الإمبراطور العظيم،

إنها فتاة صغيرة عذراء لم تتزوج بعد، فهل لك أن تتركها وتعفو عنها». نظر إليها الإمبراطور في تعاطف وقال لهم: «حقًّا، أهي ما زالت عذراء؟ إذن لا يجب قطع رأسها وهي عذراء». ثم أمر الجلاد باغتصابها ثم قطع رأسها بعد ذلك.

شُغلُ الطغاة الشاغل هو نشْر الرعب والموت بين رعاياهم، لكن أحدًا لم يفعل ذلك بفخر واعتزاز كما فعل (كاليجولا).

اسمه الحقيقي (جايوس يوليوس قيصر)، تولَّى حكم روما بين عامي 37- 41 ميلاديًّا، وُلد ونشأ داخل بيت ملكي، فجدُّه الأكبر هو الإمبراطور الروماني الشهير (يوليوس قيصر)، ووالده الإمبراطور (جيرمانيكوس)، وابن أخيه هو (نيرون) الإمبراطور المشهور بإحراقه لروما.

عندما كان صبيًّا يبلغ من العمر سنتين أو ثلاثة فقط، بدأت تظهر عليه نوبات شديدة من التشنجات التي لا يمكن السيطرة عليها وفقدان للوعي وعدم التركيز، وهذا ما يسمى بنوبات الصرع النفسي.

لم تُفسر حينها تلك النوبات على أنها مرضٌ خطير؛ فقد كانت تحدث بين فترات طويلة الأجل.

وعندما أتمَّ الصبي خمس سنوات رافق (كاليجولا) والده (جرمانيكوس) في حملة في شمال ألمانيا قضى (كاليجولا) طفولته بين الحصون العسكرية، يتعلم فنون القتال والمحاربة، حيث شغف بحبه للحروب وساحات القتال في سنوات عمره الأولى؛ لذلك صممت له والدته بدلة عسكرية صغيرة وحذاء صغير، للذهاب بهما لساحات الدروس القتالية، حتى أطلق عليه الجنود اسم (كاليجولا)، وهو ما يعني المجند صاحب الحذاء الصغير.

بعد وفاة الإمبراطور (تيبريوس) في عام 37 ميلاديًّا، نُقلت مفاتيح الحكم إلى يد (كاليجولا)، حيث حظي الإمبراطور الشاب صاحب الـ 24 عامًا، بشعبية كبيرة في بداية فترة حُكمِه. بإلغاء الضرائب، وإطلاق سراح المعتقلين داخل السجون، وإقامة المسابقات الفنية والعروض داخل المسارح، بدأت فترة حكم (جايوس) أو (كاليجولا)، حتى اكتسب حُبَّ شعبه، وأصبح من أكثر الحكام شعبيةً بين الناس.

بعد ستة أشهر من حكمه، أصيب (كاليجولا) بمرضٍ شديد،

وحالة من فقدان الوعي لفترات متقطعة، والكثير من التشنجات العصبية.ثم تزايدت تلك النوبات لديه أكثر، وسيطرت عليه نوبات صرعية عظمى . وفي تلك النوبات تُرسل إشارات غير طبيعية عبر الخلايا العصبية في الدماغ، وينتج عن ذلك تلف الخلايا العصبية في الدماغ.

ظلَّ هكذا يُعاني الألم مدة شهر متواصل، حيث حزنت روما بأكملها على مرض إمبراطورها الحبيب، ولم يعرف أحد من الأطباء سببًا واضحًا لمرضه؛ حيث أرجعوا الأسباب لفرطه في شرب الخمر، وممارسة الجنس، والسهر كثيرًا.

وبينما كان الشعب يفقد الأمل في شفائه، عاد كمن يعودون من الموت ولكن انقلبت حياة (كاليجولا) رأسًا على عقب، لربما كان مرضه سببًا في تحول شخصيته بشكل تام، ليتحول من الإمبراطور المحبوب إلى طاغية مكروهة في البلاد.

في أول لقاء عَقده بعد عودته من المرض انفجر (كاليجولا) ضاحكًا دون أن يفهم أعضاء مجلس الشيوخ ومستشاروه من حوله سببًا لنوبة الضحك هذه. فلما اقترب منه شيخان قريبان من مجلسه

ليعرفا سببها أجابهما: «الأمر بسيط، أضحك لفكرة وهي أنني بإيماءة واحدة من رأسي أستطيع أن أرى رأسيكما يتدحرجان أمامي على الفور».

استبدَّ به الجنون وأعلن في البلاد أنه إله على الأرض، وملك هذا العالم بأسره، ويفعل ما يحلو له، إله حي. أمر ببناء جسر بين قصره وكوكب المشترى حتى يتمكن من لقاء الآلهة والتشاور معهم في أمور الرعايا.

وذات مرة أمر جنوده بإحضار القمر لا لشيء سوى لأنه من الأشياء التي لا يملكها. وحين عجز عن الحصول عليه ثار غضبًا وصار يبكي.

كما أنه فرض السرقة العلنية في روما، وبالطبع كانت مقصورة عليه فقط؛ إذ أجبر كل أشراف روما وأفراد الإمبراطورية الأثرياء على حرمان ورثتهم من الميراث وكتابة وصية أن تؤول أملاكهم إلى خزانة روما بعد وفاتهم وبالطبع خزائنه؛ إذ إنه كان يعُدُّ نفسه روما. فكان في بعض الأحيان يأمر بقتل بعض الأثرياء حسب ترتيب القائمة التي تُناسب هواه الشخصي كي ينقل سريعًا إرْثَهُم

إليه دون الحاجة لانتظار الأمر الإلهي. وكان يُبرِّر ذلك بعبارة شهيرة جدًّا: «أما أنا فأسرق بصراحة».

وكان يرى أنه طالما اعترف بسرقته؛ فهذا مباح.

تزايد معدل الاعتلال النفسي الناتج عن نوبات الصرع فحدث له فقدان في الإدراك والوعي والسيطرة على الأفكار،واضطرابات في الحركة والإحساس،بما في ذلك الرؤيه والسمع والتذوق،والحالة المزاجية،وغيرها من الوظائف الإدراكية،وظهرت لديه مشاكل بدنية أُخرى فأصابته بعض الكسور والكدمات الناتجة عن نوبات الصرع المتكررة لديه.

كان (كاليجولا) يهوى التلاعب بمشاعر أفراد حاشيته الذين أفسدوه وجعلوه يتمادى في ظُلمه وقسوته بصمتهم وجُبْنهم وهتافهم له في كل ما يقوم به خوفًا من بطشه وطمعًا في المكاسب. فذات

مرة خرج على رجاله بخدعة أنه يحتضر وسيموت، فبادروا بالإعلان عن دعائهم له بالشفاء واستعدادهم للتضحية من أجله، وبلغ التهوُّر بالبعض أن أعلن رجل من رجاله أن روحه فداء له. وأعلن آخر مئة عملة ذهبية لخزانة الدولة كي يُشفَى (كاليجولا). وفي لحظتها خرج (كاليجولا) من مخبئه ليبُشِّرهم أنه لم يمُت، ويجبر من أعلن وعُوده المتهورة على الوفاء بما وَعَدَ، فأخذ من الثاني مئة عُملة ذهبية، وقتل الأول كي ينفِّذ وعده. وكانت عبارته التي يُردِّدها لتبرير وتشريع القتل لنفسه: «غريب أنني إذا لم أقتل أحدًا أشعر بأنني وحيد». «لا أرتاح إلا بين الموتى».

هاتان العبارتان تبرزان بوضوح تام ملامح الشخصية المريضة لـ(كاليجولا).

أخذ جنون (كاليجولا) يزداد يومًا بعد يوم، والذي أسهم أكثر في تعاظُم جنونه وبطشِه أن الشعب كان خائفًا منه. وظلَّ رجالُه يؤيدونه في جبروته حتى لحقهم بدورهم، فذات يوم رأى أحد رجاله يتناول عقارًا ما فظنَّ أنه يتناول دواءً مضادًّا للسم خوفًا من أن يقوم (كاليجولا) بقتله، وهكذا قرَّر (كاليجولا) أن يقتله؛ لأنه كان من الممكن أن يرغب فعلًا في قتله بالسم، وقد حرمه من تلك المتعة! وهكذا قتله ليتبين أن الرجل كان يتناول عقارًا عاديًّا.

وازداد جنون (كاليجولا) عن حدِّه حتى جاءت لحظة الحادثة

الشهيرة والتي أدت إلى مصرعه في النهاية. دخل (كاليجولا) مجلس الشيوخ ممتطيًا صهوة جواده (تانتوس)، ولما أبدى أحد الأعضاء اعتراضه على هذا السلوك قال له (كاليجولا(: «أنا لا أدري لما أبدى البعض ملاحظة على دخول جوادي المحترم، رغم أنه أكثر أهمية من البعض؛ فإنه يكفي أنه يحملني».

وطبعا كعادة الحاشية هتفوا له، وأيَّدوا ما يقوله، فزاد جنونه وأصدر قرارًا بتعيين جواده المحترم عضوًا في مجلس الشيوخ!

وهلَّل الأعضاء بنفاق لحكمة (كاليجولا)؛ فانطلق هذا الأخير بعبثه إلى النهاية، وأعلن عن حفلة يُعيَّن فيها جواده المحترم عضوًا في مجلس الشيوخ، وكان لا بدّ على أعضاء المجلس من حضور الحفل بالملابس الرسمية.

ويوم الحفل فُوجئ الحاضرون بأن المأدبة لم يكن بها سوى التبن والشعير، فلما اندهشوا قال لهم (كاليجولا): إنه شرف عظيم لهم أن يأكلوا في صحائف ذهبية ما يأكله حصانه. وهكذا أذعن الحضور جميعًا لرغبة الطاغية وأكلوا التبن والشعير ما عدا واحدًا كان يُدعَى (براكوس) رفض، فغضب عليه (كاليجولا) وقال: «مَن أنت كي ترفض أن تأكل مما يأكل جوادي؟!». وأصدر قرارًا بتنحيته من منصبه وتعيين حصانه بدلًا منه. وبالطبع هلَّل الحاضرون بفم ممتلئ بالقش والتبن وأعلنوا تأييدهم لهذا الجنون.

ثار (براكوس)، وأعلن الثأر لشرفه، وراح يصيح في أعضاء مجلس الشيوخ: «إلى متى يا أشراف روما نظل خاضعين لجبروت كاليجولا؟!».

وبسرعة قذف (براكوس) حذاءه في وجه حصان (كاليجولا) وصرخ: «يا أشراف روما، افعلوا مثلي، استردوا شرفكم المُهان». فاستحالت المعركة بالأطباق وكل شيء، ثم تجمع الأعضاء وأعوان (كاليجولا) عليه حتى قضوا عليه وقتلوه بـ30 طعنة، وقاموا بإلقاء جثته هو وحصانه أيضًا في إحدى الآبار العميقة.

ولما وصل الخبر إلى الشعب خرج مسرعًا، وحطَّم كل تماثيل (كاليجولا) ومعها أيضًا تماثيل أفراد عائلته الكثيرة.

لم يُنبت جنونه الدموي إلا أمنية واحدة ملأت رأسه وجسدت كل أمانيه، فقد كان دائما يتمنى: «لو أن هذا الشعب الروماني برأس واحد لأقطعها بضربة سيف واحدة».

لم يكن (كاليجولا) طاغية فحسب، بل كان وحشًا يريد أن يفترس العالم.

الفصل العاشر اضطراب الهوية الجنسية (gender identity disorder)

ينطوي الخلل الجنسي أو عدم الرِّضا الجنسي على تناقض كبير بين الجنس التشريحي للشخص والشعور الداخلي بالذات كونه مذكَّرًا، أو مؤنَّثًا، أو مختلطًا، أو محايدًا، أو شيئًا آخر (الهويَّة الجنسانية). ويسبِّب هذا الشعورُ بالتناقض الضيقَ الشديد للشخص، أو يضعف بشكل كبير قدرةَ الشخص على العمل. تغيير الجنس أو اشتِهَاءُ تَغيِيرِ الجِنس (Transsexualism) هو الشكل الأكثر تطرفًا من عدم الرِّضا الجنسي.

يركِّز الأطفالُ في هذه الحالة على الأنشطة المرتبطة بالجنس الآخر عادةً، ويكون لديهم مشاعرُ سلبية بشأن أعضائهم التناسلية.

ويضع الأطباءُ التَّشخيص اعتمادًا على الأَعرَاض التي تشير إلى تفضيل قوي للجنس الآخر.

ويمكن مساعدَةُ الأشخاص الذين يشعرون بالحاجة القوية للعيش كجنس آخر من خلال تقديم المشورة والعلاج الهرموني، وجراحة الأعضاء التناسلية النهائية في بعض الأحيان.

يظن الأشخاصُ الذين يعانون عَدَم الرِّضا الجِنسي أنَّهم ضحايا لحادث بيولوجي، وأنَّهم سجنوا بعقوبة في جسم يتنافى مع شعورهم الداخلي بالذات كونهم ذكورا أو إناثًا أو شيئًا آخر (الهويَّة الجنسية)؛ فعلى سَبيل المثال، يشعر بعضُ الأشخاص الذين يوصفون بالذكور عند الولادة كأنَّهم نساء محاصرات في جِسْم رجل، والعكس بالعكس. كما يشعر بعضُهم بأنَّهم ليسوا ذكوريين أو أنثويين، وأنَّهم في مكان ما بين بين، أو أنَّهم خليط من الاثنين، أو أن هويَّتهم في حالة تغيُّر. ويُعَدُّ مصطلح (متحوِّل جنسيًّا) مصطلحًا جامعًا يشير إلى بعض هذه الاختلافات في الهوية الجنسانية.

في لِبسَة الجِنس الآخر transvestism (تبادُل الملابس)، يصبح الأشخاصُ (الرجال دائمًا تقريبًا) مُثارين جنسيًّا عن طريق ارتداء ملابس الجنس الآخر، ولكن ليس لديهم شعورٌ داخلي بالانتماء فعلًا لهذا الجنس.

اشتهاءُ تغيير الجنس (Transsexualism)

وبالنسبة للمتحوّلين جنسيًّا (المُصابين باشتهاء تغيير الجنس)، فإنَّ عدمَ التوافق بين الجنس التشريحي والهوية الجنسيَّة يكون كاملًا وشديدًا ومزعجًا وطويلَ الأمد. ويبدو أنَّ اشتهاء تغيير الجنس يحدث في نحو 1 من كل 11900 من المَواليد الذكور و1 من كل 30000 من المَواليد الإناث.

ومعظم المُتحوّلين جنسيًّا هم الذكور البيولوجيون الذين يعرِّفون أنفسهم كإناث، في مرحلة الطفولة المبكِّرة أحيَانًا، وينظرون إلى أعضائهم التناسلية والميزات الذكورية باشمئزاز، ولكنَّ معظمَ الأطفال الذين يعانون مشكلات الهوية الجنسية لا يصبحون بالغين متحوّلين جنسيًّا.

وفي حالاتٍ نادرة يكون المتحوّلون جنسيًّا أشخاصًا وُلدوا بأعضاء تناسلية غير واضحة الذكورة أو الأنوثَة (الأعضاء التناسلية الغامضة)، أو لديهم شذوذ وراثي مثل متلازمة (تيرنر) أو متلازمة (كلاينفلتر). ولكن عندما ينظر الأطفالُ بشكل واضح ومتَّسق إلى أنفسهم كأولاد أو بنات، حتى عندما تكون الأعضاءُ التناسلية غامضة، فإنَّ معظمهم يكون لديه شعورٌ واضح بهويَّتهم الجنسانيَّة.

الأعراض

يظهر عدمُ الرضا الجنسي في عمر سنتين عادة.

- **أعراضُ عدم الرضا الجنسي في الأطفال**

يمكن للأطفال الذين يعانون عَدَم الرِّضا الجِنسي القيام بالآتي:

- تفضيل ارتداء ملابس الجنس الآخر.

- الإصرار على أنَّهم من الجنس الآخر.

- تمنِّي أن يستيقظوا وهم مثل الجنس الآخر.

- تفضيل المشاركة في الألعاب والأنشطة المرتبطة بالجنس الآخر.

- لديهم مشاعر سلبيَّة تجاه أعضائهم التناسلية.

قد تصرّ الفتاةُ -على سبيل المثال- على أنَّها سوف ينمو لها قضيب وتصبح صبيًّا؛ وقد تقف للتبوُّل. وقد يتخيَّل الصبي أنَّه أنثى، ويتجنَّب اللعبَ الخشن والألعاب التنافسية؛ كما يمكن أن يجلسَ للتبوُّل، ويرغب في التخلُّص من القضيب والخصيتين. بالنسبة للأولاد الذين يعانون عدم الرضا الجنسي، غالبًا ما يُتبَع الضيق تجاه

التغيُّرات الجسدية خلال البلوغ بطلب المُعالَجَة التي تجعل جسمَهم أشبه بالمرأة.

ولكنَّ معظمَ الأطفال الذين يفضِّلون الأنشطة التي تُعَدّ أنسب بالنسبة للجنس الآخر (يسمّى ذلك السُّلُوك الجنساني غير المطابق للجنس) لا يكون لديهم مشكلة عدم الرضا الجنسي.

- **أعراضُ عدم الرضا الجنسي لدى البالغين**

على الرغم من أنَّ معظمَ المُتحوِّلين جنسيًّا بدءوا يعانون أعراض الانزعاج الجنسي أو بدءوا يشعرون بالاختلاف في مرحلة الطفولة المبكِّرة؛ فإن بعضهم لا يعترف بهذه المشاعر حتى سن ما بعدَ البلوغ.

قد يرتدي الأشخاص -الرجال عادةً- لباسَ الجنس الآخر أوَّلًا، وليس لديهم معرفة بهويَّتهم مع الجنس الآخر حتَّى وقتٍ لاحق في الحياة. وبعضُ هؤلاء الرجال يتزوَّجون أو ينضمون إلى الجيش للهروب أو إنكار مشاعر الرغبة في أن يكونوا من الجنس الآخر، ولكن بمجرَّد قبول هذه المشاعر، يتبنَّى الكثيرون علنًا دورًا جنسانيًّا مُرضِيًا ومُقنعًا. ويواجه آخرون مشكلات مثل القلق

والاكتئاب والسُّلُوك الانتحاري. وقد تتسبَّب الشدَّة في عدم قبول المجتمع أو الأسرة لهم في حدوث هذه المشكلات أو تُسهِمُ فيها.

لا يَجرِي تقييمُ معظم الأطفال الذين يعانون عدم الرضا الجنسي حتَّى سن 6 إلى 9 سنوات من العمر.

ويقوم الأطباءُ بتشخيص عدم الرضا الجنسي عندما يلجأ الأشخاص (الأطفال أو البالغون) إلى القيام بما يأتي:

- يشعرون بأنَّ جنسهم التشريحي لا يتطابق مع هويتهم الجنسيَّة، ويكونون قد شعروا بهذه الطريقة لمدَّة 6 أشهر أو أكثر.

- يشعرون بالضيق الشديد، أو لا يمكن أن يعملوا بشكل طبيعي بسبب هذا الشعور.

- لديهم أعراض أخرى معيَّنة، تختلف حسب الفئة العمرية.

- تكون الأَعرَاضُ الأخرى المطلوبة كي يضعَ الطبيب تشخيص عدم الرضا الجنسي مختلفةً قليلًا في الأطفال وفي المراهقين والبالغين.

- يجب أن يكونَ لدى الأطفال أيضًا معظم الأَعرَاض الآتية:

- رغبة قويَّة ومستمرَّة أو إصرار في أن يكونوا من الجنس الآخر

(أو بعض الجنس الآخر).

- تفضيل قوي لارتداء ملابس الجنس الآخر؛ وفي الفتيات، مقاومة ارتداء الملابس الأنثوية عادة.

- تفضيل قوي للتظاهر بالجنس الآخر عندَ اللعب.

- تفضيل قوي للدمى والألعاب والأنشطة النموذجية للجنس الآخر.

- تفضيل قوي لزُملاء اللعب من الجنس الآخر.

- الرفض القوي للدمى والألعاب والأنشطة النمطية للجنس الذي يطابق جنسَهم التشريحي (على سبيل المثال، يرفض الأولاد اللعبَ مع الشاحنات أو كرات القدم).

- كره قوي للتشريح الذي هَمَّ عليه.

- رغبة قويَّة نحوَ خصائص الجنس التي تطابق هويَّتهم الجنسية.

كما يجب أن يكونَ لدى المراهقين والبالغين أيضًا العديد من الأَعرَاض الآتية:

- رغبة قوية في التخلُّص من خصائص الجنس لديهم، وبالنسبة إلى المراهقين الصغار، لمنع تطور خصائص الجنس الثانوية (تلك التي تحدث في أثناء سن البلوغ).

- رغبة قويَّة في خصائص الجنس التي تطابق هويَّتهم الجنسية.

- رغبة قويَّة في أن يكونوا من الجنس الآخر (أو بعض الجنس الآخر).

- رغبة قويَّة في العيش أو التعامل كجنس آخر.

- إيمان قوي بأنَّهم يشعرون ويتفاعلون مثل الجنس الآخر.

- المُعالَجة

- المُعالجة النفسيَّة.

- العلاج الهرموني أحيانًا.

جراحة إعادة تعيين الجنس في بعض الأحيان.

أمَّا البالغون الذين يشعرون بأنَّ جنسَهم التشريحي لا يتطابق مع هويَّتهم الجنسيَّة فقد لا يحتاجون إلى العلاج إذا لم يكن لديهم ضائقةٌ نفسية أو مشكلة في حياتهم مع المجتمع.

وقد يسعى المتحوِّلون جنسيًّا للحصول على مساعدة نفسية

للقيام بأيٍّ ممَّا يأتي:

- مساعدتهم في التعامل مع صعوبات العيش في الجسم الذي لا يشعرون بالراحة معه.

- مساعدتهم من خلال التحوُّل الجنسي (gender transition).

- ليس المقصودُ من العلاج أن يُؤثِّر في المتحوِّلين جنسيًّا لقبول جنسهم التشريحي وتغيير هويَّتهم الجنسية؛ فالعديدُ من المتحوِّلين جنسيًّا يبدو أنهم يحصلون على مساعدة أكثر من خلال الجمع بين العلاج النفسي، والعلاج بالهرمونات، والتحليل الكهربائي electrolysis، والجراحة التناسلية (إعادة تعيين الجنس) أحيَانًا (وهو أمر لا رجعةَ فيه).

يكون بعضُ المتحوِّلين جنسيًّا راضين عن تغيير دورهم الجنساني من خلال العمل، والعيش، وارتداء ثياب في المجتمع كونهم أعضاء من الجنس الآخر. وقد يشمل هذا الأسلوبُ الحصولَ على هوية (مثل رخصة القيادة) تساعدهم على العمل والعيش في المجتمع كجنس معاكس. ولكن قد لا يسعون أبدًا إلى تغيير تشريحهم بأيِّ شكل من الأشكال. وكثيرٌ من هؤلاء الأشخاص، الذين يشار إليهم أحيانًا باسم المتحوِّلين جنسيًّا، لا يكون لديهم أعراض تستوفي معاييرَ اضطراب الصحة النفسيَّة.

والأطفال الذين يعانون عَدَم الرِّضا الجِنسي قد يصرُّون على أنهم من الجنس الآخر.

العلاجُ بالهرمونات

يتلقَّى المُتحوِّلون جنسيًّا (المصابون باشتهاء تغيير الجنس) الآخرون، بالإضافة إلى تبنِّي السُّلُوك واللباس والطرائق المقلِّدة للجنس الآخر، المعالجات الهرمونية لتغيير خصائص جنسهم الثانويَّة:

في الذكور البَيُولوجيين، يسبِّب استخدامُ الهرمون الأنثوي الإستروجين نموَّ الثديين وتغيُّرات أخرى في الجسم، مثل ضُمُور الأعضاء التناسلية (الضمور التناسلي) وعدم القدرة على الحفاظ على الانتصاب.

أمَّا في الإناث البَيُولوجيات، يسبِّب استخدام هرمون الذكورة التَّستوستيرون تغيّرات مثل نمو شعر الوجه، وخشونة الصوت،

والتغيُّرات في رائحة الجسم وتوزُّع الدهون في الجسم.

والعلاجُ الهرموني هو كل شيء يمكن القيامُ به لبعض المتحوِّلين جنسيًّا من الذكور البيولوجيين؛ وذلك لجعلهم يشعرون بالراحة كإناث.

جراحةُ إعادة تعيين الجنس (Sex reassignment surgery)

لا يزال متحوِّلون جنسيُّون آخرون يطلبون جراحةَ إعادة تعيين الجنس. وهذه الجراحة لا رجعةَ فيها.

وبالنسبة للجنسين، تُسبَق الجراحة بالآتي:

- استخدام الهرمون الجنسي المناسب (هرمون الإستروجين في التحوُّل من الذكر إلى الأنثى وهرمون التستوستيرون في التحوّل من الأنثى إلى الذكر).

- العيش طوالَ الوقت بدور الجنس الآخر لمدَّة لا تقلُّ عن سنة واحدة.

بالنسبة إلى الذكور البَيُولوجيين، تنطوي الجراحةُ على إزالة جزء من القضيب والخصيتين، وخَلق مَهبل اصطناعي. والجزءُ الذي يُترَك من القضيب يعمل بمنزلة البظر، وهذا الجزءُ المتبقِّي يكون حسَّاسًا جنسيًّا، ويجعل النشوة مُمْكِنة.

أمَّا بالنسبة إلى الإناث البَيُولوجيات، فتنطوي الجراحةُ على إزالة الثديين (استئصال الثديين)، والأجهزة التناسلية الداخلية (الرَّحِم والمبيضين) أحيَانًا، وإغلاق المهبل، وخلق قضيب اصطناعي. وتعدُّ نتائجُ جراحة تحويل الإناث إلى ذكور أقل إرضاءً من جراحة تحويل الذكور إلى إناث من حيث المظهرُ والوظيفة، وربَّما يفسِّر ذلك العدد القليل من المتحوِّلين جنسيًّا من الإناث اللواتي يطلبن جراحةَ إعادة تعيين الجنس.

على الرغم من أنَّ المتحوِّلين جنسيًّا الذين خضعوا لجراحة إعادة تعيين الجنس لا يمكن أن ينجبوا؛ فإن الكثيرين منهم يكونون قادرين على إقامة علاقات جنسيَّة مُرضِية. وغالبًا ما يَجرِي الاحتفاظُ بالقدرة على تحقيق النشوة الجنسية بعدَ الجراحة، ويذكر بعضُ الأشخاص شعورًا بالراحة الجنسية لأوَّل مرَّة؛ بيدَ أنَّ قلة من المتحوِّلين جنسيًّا يتحمَّلون عملية إعادة تعيين الجنس

لغرض وحيد، وهو أن يكونوا قادرين على الممارسة الجنسيَّة كونهم جنسًا آخر. وأنَّ تأكيد شعورهم الداخلي بالهوية الجنسانيَّة هو الدافع المعتاد.

إيلاجابالوس أو بسيانوس هيلوغياله

«أشعر بأن بداخلي امرأة مُكتملة الأنوثة».



في طرقات المدينة الكبيرة التي خَلَتْ من المارَّة إلا من القليل الذين يقصدون مكانًا واحدًا في ذلك الوقت المتأخر من الليل، كانت تسير إحداهن مُتخفية تحت عباءتها ذات اللون الأزرق اللامع التي خيطت من الحرير، تتزين بالذهب، وتضع على رأسها شالًا يُغطي شعرها وملامح وجهها إلا من بعض الخصلات المتطايرة، وبريق العينين الخضراوين، تنظر هُنا وهناك وتضحك في مجون.

ظلَّت تمشي وتتمايل حتى لحق بها أحدُ الرجالِ الأقوياءِ مفتولي العضلات، وحين اقترب منها همس لها أن تتبعه إلى إحدى البيوت، فأشارت إليه وتبعته.

دخلا إلى البيت الذي كان يضجُّ بالموسيقى والكئوس والكثير من

النساء اللائي يتمايلن في أحضان الرجال.

أخذ الرجل المرأة من يديها، وصَعِد بها إلى الطابق العلوي، وما إن أزال عنها غطاءها حتى صُوعق وظل يقفز في الهواء. فتلك التي ظن أنها امرأة حسناء ما هي إلا رجل وليس أي رجل، إنه الإمبراطور ذاته، ظل الرجل في حالة ذهول ويحدق به لوهلة من الوقت، ثم ترك الغرفة وانصرف مُسْرعًا من البيت بأكمله.

في الصباح التالي لتلك الليلة.. حان موعد ما يحدث كل عام في منتصف الصيف، يتلألأ المعبد الضخم بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، كان موكبًا مهيبًا ينتقل عبر روما من بالاتين إلى المعبد على تل إسكويلين. مرة واحدة في السنة، غادر إله الشمس معبده. ركب الحجر على عربة مُذهَّبة، مُزيَّنة بالأحجار الكريمة، مُسخَّرة لستة خيول ناصعة البياض في أحزمة مُذهَّبة. رُبِط اللجام بحجر لخلق الانطباع بأن الله نفسه يتحكم في الخيول. سيطر عليها (إيلاجابالوس)، وأمسك الزوج الأول من اللِّجام، ووجه وجهه إلى الإله، ولم يرفع عينيه عنه، وحتى لا يسقط الإمبراطور كان الطريق ممتلئًا بالرمال الذهبية، وكان على جانبيه جنود يحملون دروعًا. احتشد الناس حولها، ورشقوا الزهور والأكاليل تحت حوافر الخيول. بالقرب من المركبة المقدسة، حملوا تماثيل وصور جميع الآلهة الأخرى، وحملوا هدايا الزفاف، ورموز القوة الإمبراطورية. كان الجنود يسيرون في تشكيل ومجموعات خاصة.

صَعِد القيصر بُرْجًا مرتفعًا بُنِي بجوار المعبد، ومن هناك ألقى هدايا متنوعة على الحشد، وبشكل أكثر دِقَّة، ألواحًا عليها صور رمزية للهدايا التي يمكن استلامها بعد ذلك. تلقى المحظوظون أطباقًا من الذهب والفضة وملابس باهظة الثمن وحيوانات أليفة مختلفة، باستثناء الخنازير. كان (إيلاجابالوس) يحتقر هذه الحيوانات.

ظلَّ الموكب يجُول أنحاء المدينة حتى وصل مرة أخرى إلى المعبد، هُنا نزل القيصر من عربته يرتدي ملابس بربرية رائعة من الحرير، ويزيِّن نفسه بالأقمشة والقلائد والأساور الأرجوانية المذهبة. قدَّم الكثير من القرابين، وذبح المواشي الصغيرة، ثم أصابته حالة من الهياج. رقص بحماس بالقُرْب من تمثال الإله، رقصت النساء ورفاقه رجال القبائل، ووقف الفرسان ومجلس

الشيوخ مثل المتفرجين.

وفي أحد عروض السيرك الترفيهية أمام الجموع المحتشدة سقط أحد العبيد أمام عربة الإمبراطور، وسقطت عنه خوذة رأسه التي كانت تحميه في أثناء العرض، وأحاطت الضفائر الذهبية المتناثرة بوجه الشاب الذي كان يُدعى (هيركوليس)، نظر إليه (إيلاجابالوس) المسحور على الفور، وأمر بنقله إلى القصر، وعندما عادَ السائق إلى رُشدِهِ واجتاز الاختبار الليلي على سرير الإمبراطور، بقي في القصر إلى الأبد، وأعلن أنه زوج (إيلاجابالوس). كان تأثير (هيركوليس) هائلًا، وقيل: إنه في الواقع هو الذي حكم البلاد، حتى إنه سُمح له بضرب زوجته (إيلاجابالوس) إذا وَجَدَها في أحضان رجال آخرين. حتى إن الإمبراطور كان ينوي إعلان أن زوجه هو الحاكم الفعلي للإمبراطورية الرومانية.

ولد (إيلاجابالوس) في سنة 203 باسم (فاريوس أفيتوس بسيانوس). كان والده من طبقة الفرسان الرومان، وأصبح بعد ذلك من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني. كانت جدة (إيلاجابالوس)، (جوليا مايسا)، أرملة للقنصل (جوليوس أفيتوس).

سنة 217 قُتل الإمبراطور كركلا، وتولى بعده قائد حرسه لفترة مؤقتة، واستطاعت (جوليا ميسا) أن تُقنع مجلس الشيوخ بتنصيب حفيدها إمبراطورًا على الإمبراطورية الرومانية.

دخل (إيلاجابالوس) روما في خريف عام 219 مرتديًا أثوابًا من الحرير الأرجواني مُطرَّزة بالذهب، وحذاءين مصبوغين باللون القرمزي، وكانت عيناه تشعان بريقًا مصطنعًا، وكان في ذراعه أسورتان غاليتا الثمن، وفي رقبته عقد من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر، وركبت إلى جواره في مركب فخم جدَّتُه وأمه. وكان أول ما فعله حين حضر إلى مجلس الشيوخ أول مرة أن طلب إليه الموافقة على جلوس أمه إلى جانبه لتستمع إلى المناقشات. وأُوتيت من الحكمة ما أَوْحَى إليها بالانسحاب، وقنعت برئاسة المجلس الأصغر مجلس النساء الذي أنشأته، والذي كان يبحث المسائل المتعلقة بأثواب النساء وحلِيِّهن، وترتيبهن في الحفلات الرسمية، وآداب اللياقة وما إليها، وترك حكم الدولة للجدة (ميزا).

كان يحب الموسيقى، ويُجيد الغناء، وينفخ في المزمار والبوق،

كان يختار لنفسه أحسن كل شيء؛ فكان الماء الذي في أحواض سباحته يُعطر بروح الورد، وكانت المشاجب التي في حمَّاماته من العقيق أو الذهب الخالص، طعامه من أندر المأكولات وأغلاها ثمنًا، أثوابه مرصعة بالجواهر من تاجه إلى حذائه؛ إنه لم يلبس قط خاتمًا مرتين. وكان إذا سافر احتاج إلى 600 مركبة يحمل فيها متاعه وقواديه. ولما قال له عراف، إنه سيموت ميتة عنيفة، أعدَّ وسائل غالية للانتحار يستخدمها إذا لزم الأمر، منها حبال من الحرير الأرجواني، وأسياف من الذهب، وسموم في قنينات من الياقوت الأزرق أو الزمرُّد.

كل هذا الترف لم يمنعه من الانحرافات الجنسية التي أصابته وكادت أن تُهلك روما بمن فيها.

قد يكون (إيلاجابالوس)، الإمبراطور الروماني الخامس والعشرون، هو الأكثر غَرَابة على الإطلاق فيما يخص النواحي الشخصية، وقد تسبب في حروب أهلية تسببت في أزمة ضخمة داخل الإمبراطورية العريقة. تولى (إيلاجابالوس) الحُكْم وهو في الرابعة عشرة من عمره فقط، ومن أغرب الأشياء في شخصيته أنه كان يريدُ أن يكون امرأة وليس رجلًا، حاول أكثر من مرةٍ أن يدفع كميات مهولة من المال لأكثر الأطباء مهارة ليقوموا بتحويله جنسيًّا.

وهذا ما يسمى بـ(اضطراب الهوية الجنسية) أو (اضطراب الهوية الجندرية).

ومن الممكن أن تظهر الأعراض منذ الطفولة، إلا أن معظم الأشخاص لا يلقون بالًا لأي شعور بعدم الارتياح الخاص بالهوية الجنسية في أثناء الطفولة، فتظهر الأعراض بشكل أكبر في أثناء المراهقة والبلوغ، وهذا ما حدث مع (إيلاجابالوس).

كان يذهب إلى بيوت الدعارة مُتخفيًا كامرأة ليغوي الرجال، ويرتدي الملابس النسائية في القَصْر، وهنالك الكثير من الحكايات الغريبة عما كان يفعله داخل القصر أمام حاشيته والحراس؛ فقد كان يمشي عاريًا، كما أنه كان يملك رغبة شاذة في أن يصبح مَخْصِيًّا. كل الصفات الغريبة كانت مؤثرة بشكل كبير في شعبية الإمبراطور؛ وبسبب هذا حلَّ غضب شعبي على (إيلاجابالوس)، واشتعلت المظاهرات الشعبية في شوارع روما مطالبةً بإعدام

الإمبراطور، ووقتها طلب (إيلاجابالوس) من الحرس الشخصي أن يعتقلوا كل المتظاهرين، فزاد الغضب، وطلب الشعب أن يُشرك في الحكم معه «الإسكندر سويرس» ابن عمه الثاني، فلم يجد مفرًّا من القبول كارهًا. وحاول قتله إلا أن أمره انكشف. وبعد قليل قام عليه الشعب ليقتُله؛ فهرب واختبأ في أحد الحمامات إلا أنهم بحثوا عنه حتى وجدوه وذبحوه وألقَوا بجثته في نهر التيبر بعد ربطها بحجر.

هكذا انتهت حياته بلا ضريح ولا قبر، ما بقي منه سوى طغيانه واضطرابه الشاذ.

الفصل الحادي عشر الخَرَف (Dementia)

الخَرَف أو التدهور العقلي أو العته: هو تدهور مُستمر في وظائف الدماغ ينتج عنه اضطراب في القدرات الإدراكية مثل: الذاكرة والاهتداء والتفكير السليم والحكمة؛ لذلك يفقد كثير من الذين يعانون الخَرَف قُدرتهم على الاهتمام بأنفسهم.

ويحدث تدهور متدرج في القدرات الإدراكية يفقد فيه المريض شيئًا من قدراته بشكل ملحوظ، ثم يستقر مدة من الزمن، ثم يحدث تدهور ملحوظ وهكذا. وهذا الشكل يحدث في حالات الاحتشاء الدماغي المتعدد (Multi-infarct type)، نتيجة تجلطات في الأوعية الدموية الدقيقة في الدماغ تحدث بين الحين والآخر يفقد معها في كل مرة قُدْرة من القدرات الإدراكية.

أعراض الخرف

- **الخرف الناتج عن الاحتشاء الدماغي المتعدد**

(Multi-infarct type) فيمكن تشخيصه بناءً على الأعراض الآتية: حسب معايير الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية الذي تصدره جمعية الطب النفسي الأمريكية (DSM-4، والتي تتلخص في الآتي:

- **أ. حدوث انحدار مستمر في القدرات الإدراكية يتمثل في الآتي:**

- خلل في الذاكرة (اضطراب القُدرة على اكتساب معلومات جديدة، أو استرجاع معلومات سبق اكتسابها).

واحدة (أو أكثر) من الاضطرابات الإدراكية الآتية:

- اضطراب في اللغة (الصمت، أخطاء لفظية، قصر العبارات).

- اضطراب القدرات الحركية في عدم وجود مشكلات صحية في الجهاز الحركي؛ مثل تفريش الأسنان، أو مضغ الطعام، أو التلويح باليد للوداع ... إلخ.

- اضطراب القُدْرة على معرفة الأشياء بأسمائها في عدم وجود مشكلات حسية مثل الصمم أو العمى.

- اضطراب الوظائف العقلية العليا كالتخطيط والتنظيم والترتيب

والتفكير المجرد.

• ب. يؤدي اضطراب القدرات الإدراكية المذكور في كل من (أ – 1) وأ – 2) إلى خَلَل واضح في الوظائف الاجتماعية أو المهنية، ويمثل انحدارًا بَيّنًا مقارنة بالمستوى الذي كانت عليه هذه الوظائف قبل ذلك.

• ج. أعراض وعلامات عصبية محددة يعرفها الأطباء تدلُّ على وجود تلف أو خلل في مناطق محددة من الدماغ، ويرى الطبيب أنها ذات علاقة بتدهور القدرات الإدراكية.

• د. لا يحدث هذا التدهور في القدرات الإدراكية فقط في أثناء حالات الهذيان.

أسباب الخرف

- **الاحتشاء الدماغي المتعدد (Multi-infarct type):** ويحدث نتيجة تجلطات في الأوعية الدموية. ويصاحب ذلك عادة أمراض أخرى مثل تصلب الشرايين، وداء السكري، وارتفاع ضغط الدم. وغيرها ...

- **نقص الفيتامينات وسوء التغذية:** مثل نقص الفيتامينات خاصة ب12، ب3، ب9.

- **أمراض عضوية أخرى**، مثل كسل الغدة الدرقية، إصابات الدماغ، وأمراض الجهاز العصبي، مثل مرض باركنسون، مرض هنتيجتون، ارتفاع الضغط داخل الجمجمة، الأورام، النزيف

الدماغي..

- استخدام المخدرات: مثل الكحول، والحشيش، والحبوب المُنشِّطة التي تؤدي لحالة شبيهة بالفصام.

آلية حدوث الخرف

يحدثُ الخرف بأشكال مختلفة حسب سببه. ولكن المحصلة النهائية -بغض النظر عن السبب في كثير من الأحيان- هي تلف في الخلايا الدماغية. وقد وجدت الدراسات المتواترة أن هناك نقصًا حادًّا في السيالة العصبية المسماة (أستيالكولين) (Acetylcholine - Ach)، إضافة لظهور تغيرات في خلايا الدماغ تدل على تليُّفها وتلفها.

علاج الخرف

يختلف علاج الخَرَف بحسب أسبابه. هناك من حالات الخَرَف ما

هو قابل للشفاء (15% من الحالات تقريبًا)، مثل الحالات الناتجة عن نقص الفيتامينات وسوء التغذية، وكسل الغدة الدرقية وخلافه لأن هذه الأسباب يمكن علاجها، ومن ثم يمكن أن تعود القدرات العقلية طبيعية تمامًا مثلما كانت عليه. أما العقاقير التي تستخدم في حالات الخَرَف فهي كما يأتي:

- **عقاقير ترفع من مستويات الأستايلكولين (Acetylcholine)** وهذه العقاقير يمكن أن تُحسِّن من الذاكرة وتُحِدُّ من سرعة تدهور القدرات العقلية، وتستخدم تحديدًا لعلاج حالات داء الزهايمر.

- **عقاقير مساندة:** وهذه تستخدم للتخفيف من الأعراض الأخرى التي قد تصاحِب الخرف مثل القلق (قد تستخدم مضادات القلق)، الاكتئاب (قد تستخدم مضادات الاكتئاب) أو التهيج. والأعراض الذهانية (قد تستخدم مضادات الذهان).

- **العلاج التمريضي**، ويهدف لمساعدة ذوي المريض للتعامل معه بالشكل الصحيح الذي يخدم المريض ولا يستنزف طاقة الراعين له.

ماذا يمكن أن يحدث لو لم يُعالج الخَرَف؟

تُعدُّ حالات الخرف التي لا يمكن علاج أسبابها من الحالات المزمنة. وإذا لم تُعالَج فإن قدرات المريض العقلية تستمر في التدهور حتى يفقد قدرته على العناية بأبسط شئونه مثل الأكل والشرب، كما قد يفقد القدرة على التحكُّم في مخارجِهِ، وقد يخرج في أوقات غير مناسبة ويتعرَّض للأذى أو الضَّيَاع، خاصة عندما تكون حالة المريض الجسمية تساعده على الحركة والمشي؛ مما يستدعي المراقبة الدائمة وإغلاق الأبواب. هذه الحالات تحتاج إلى جهد كبير من ذويه قد يكون على حساب أعمالهم وجوانب حياتهم الأخرى.

البابا ستيفان السادس

«جميعنا مهووسون بالسلطة؛ فهي تجري بين دمائنا».



على عرش البابوية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، يجلس وهو في قِمَّة نشوته، لقد حصل أخيرًا على ما كان يسعى إليه منذ زمن ليس بالقليل لقد انتصر على عدُوِّه اللدود البابا السابق (فورموسوس)، لكن ذلك لم يكن كافيًا لإشفاء غليل (البابا ستيفان) الذي كان يُكِنُّ له عداوة وضغينة كبيرة، ظل البابا الجديد (ستيفان السادس) يُفكر كثيرًا، كيف يَروي ظمأ انتقامه من (فورموسوس)، وأخيرًا اهتدى عقله إلى أن يُحقِّق العدالة، ويقيم مُحاكمة لـ (فورموسوس)، لكن العَقَبة الوحيدة التي كانت أمامه أن (فورموسوس) أصبح جُثَّة هامدة منذ سبعة أشهر.

قام من مجلسه، وأمر باستخراج جثة (فورموسوس) المُتحلِّلة

من القبر، وتجهيزها للمُحاكمة العادلة.

وفي يناير ٨٩٧ عُقد (سينورس الجيفة) أو محاكمة الجثة كما عُرفت فيما بعد، وفي كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني في روما، وُضعت جثة (فورموسوس) على الكرسي الرسولي، وجرى إلباسها ثياب البابا الرسمية، ووضع التاج فوق رأسها ثم بدأت المحاكمة العلنية.

ووجَّه الاتهامات له، ولكن للمزيد من العدالة واتباعًا للطقوس؛ ولأن الجثة لن تستطيع أن تتحدث. عُين شماسًا من شمامسة الكنيسة للرد نيابةً عن جثة البابا.

جلس الشمَّاس المُكلف للتحدث نيابةً عنه على يديه وركبتيه خلف العرش للإجابة نيابةً عن (فورموسوس)، وعندما طُرحت إرشادية واضحة مثل: لماذا اغتصبت البابوية وسخرتها لإرضاء أهوائك الدنيوية؟

جاء الردُّ سريعًا: لأنني كنتُ شريرًا.

ثم توالت الأسئلة، وجاءت الردود بنفس الجملة لا غيرها؛ لأنني كنت شريرًا.

وعند نهاية المُحاكمة أُعلن (فورموسوس) مُذنبًا بسبب اعتدائه على القوانين الكَنسية وعقائدها.

وأُلغيت بابويته بأثر رجعي، وخلع كل من الثياب المقدسة والتاج المقدس عنه، وقطع ثلاثة أصابع يمنح بها البركة من يده اليمنى(أصابع النعمة)، ثم أمر البابا (ستيفان السادس) بإلباسه زيَّ شخصٍ عادي ودفن الجثة.

لم تكن تلك نهاية القصة ولا آخر محاكمة تعرضت لها جثة البابا السابق.

بعد مُضي ثلاثة أشهر أمر البابا (ستيفان السادس) بإخراج جثة (فورموسوس) مرة أخرى وحُوكِم بتهمة الهرطقة ((17)). وأُدينت للمرة الثانية، وحُكم عليها بقطع الرأس، ودُفنت مرة أخرى، ولكن لم يكتفِ (ستيفان) بهذا الحد من الجنون؛ فقد أمر بإخراج الجثة وإلقائها في نهر التيبر بإيطاليا

بحجة أنها لا تستحق الدفن، كما أمر بإلغاء جميع القرارات التي اتخذها البابا (فورموسوس) في أثناء حبريته.

ولكن للقصة وجه آخر يجب أن نراه حتى نعرف كيف صدرت تلك التصرفات غير السوية من شخص يعتلي أكبر منصب كنسي؛ قبل ذلك بأكثر من ثلاثين عامًا نشب خلاف بين اثنين من الكهنة لأسباب ليست بالمنطقية ولكن كان عدم التفاهم والغيرة المحتقنة بينهما هي الدافع الأكبر، وكان هذان الاثنان هما (فورموسوس)، و(ستيفان السادس). بدأ الاثنان تقاذف السَّبِّ والتهم ومن ثم الشتائم البذيئة حتى تطور الخلاف بينهما إلى أن وصل إلى التشابك بالأيدي في ظاهرة لم تكن متداولة بين الكهنة. انقض (ستيفان) على (فورموسوس)، وتمسَّك برقبته ثم دفعه بيده فوقع أرضًا وانصدمت رأسه بصخرة كانت ملقاة، نهض (فورموسوس) والشرر يتطاير من عينيه، وحمل قطعة من الحجر وهوى بها على رأس (ستيفان) حتى فَقَدَ الوعي وسالت دماء غزيرة من رأسه، لم يستعِدْ وعيه إلا بعد عدة أيام، وتُكُتِّم البابا على تلك المشاجرة حتى لا تختل صورة الكنيسة بين الشعب ولكن لم تكن تلك النهاية. أثرت تلك الإصابة على عقلِه وحوَّلت حياته رأسًا على عقب، وبدأت حالة (ستيفان) في التدهور، وأصبح لديه صعوبة في التفكير والتفريق بين الخطأ والصواب، واضطرابات في الوعي والإصغاء في معظم الأحيان، لا يتكلم بل يبقى طول الوقت حزينًا صامتًا، وأصبح أكثر عدوانية، حتى أُرْسِل إلى البابا لمعالجته وتلاوة الصلوات عليه لعلَّه يكون مصابًا بالمس الشيطاني، لكن لم تُفِد تلك الصلوات في شيء، فكل تلك الأعراض ما كانت إلا أعراض اضطراب الخَرَف الدماغي، ظلت تلك الحالة تتطور معه كلما ازداد عمره.

عندما كان يرى غريمه (فورموسوس) يتقلَّد المناصب تشتعل رغبة الانتقام لديه، وتزداد حالته من سيئ إلى أسوأ، وعندما بلغ سن الخمسين كان قد بلغ اضطراب الخَرَف لديه إلى أقصى درجاته، حيث فَقَدَ القُدْرة على المشي السليم، ولم يعُد قادرًا على ارتداء ملابسه بمفرده ووجد صعوبة كبيرة في تذكر الأحداث والتعبير عن المشاعر.

ثم جاءت الفرصة في عام 896 فتقلد منصب البابوية في انتخابات لم تكن ظروفها واضحة تحت رعاية إحدى العائلات القوية التي كانت تسعى لامتلاك البابوية لأغراضها ومصالحها الشخصية، فأهدت البابوية لـ(ستيفان السادس).

وكان من النتائج الهزلية لتلك البابوية التي لم تستمرَّ سوى لعام

واحد هي محاكمة جثة (فورموسوس).

وقد أثارت هذه المُحاكمة ثورة غضب عارمة بين الناس طيلة الشهور التي حدثت فيها المحاكمة، فما كان من الكنيسة إلا عزل (ستيفان السادس) من البابوية وإلقائه في السجن بتهمة الاستخدام السيئ لمنصب البابا.

ولكن قصته لم تنتهِ هُنا، ظلَّت المعاناة رفيقة له، فبعد عام من حبسه تسلَّل أحد أعدائه إلى السجن وقتلَهُ خنْقًا.

الفصل الثاني عشر فقدان الذاكرة التفارقي (dissociative amnesia)

المخ البشري مُعقَّد وغامِض، والذاكرة هي من العناصر الأكثر غموضًا داخله.

يستطيع المخ تخزين البيانات بطريقتين هما: الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى.

ويوجد ثلاثة أجزاء رئيسية في المخ هي المسئولة عن الذاكرة، وهي:

- **الحصين (Hippocampus)**

هو الجزء المسئول عن صنع كُلٍّ من الذاكرة المرتبطة بالحقائق والأحداث اليومية، والذاكرة المرتبطة بالمسارات والطرق.

وهو أيضًا المسئول عن تحويل الذاكرة قصيرة المدى إلى ذاكرة طويلة المدى.

- **اللوزة (Amygdala)**

هو الجزء المسئول عن الذاكرة المرتبطة بالعاطفة والمشاعر، سواء كانت ذكريات تُعبِّر عن خوف أو حُبٍّ.

- **الفص الصدغي (Temboral lobe)**

هو فصٌّ من الفصوص الأربعة لمنطقة القشرة الجديدة (Neocortex) في المخ، وهو المسئول عن الذاكرة التقريرية؛ وهي نوع من أنواع الذاكرة طويلة المدى.

هناك عوامل عدة تتحكم في تشكيل الذاكرة داخل المخ، من أهمها: التغذية، والشيخوخة والتنشئة وغيرها من العوامل.

- **فقدان الذاكرة**

وظيفة الذاكرة تعتمد على عدة أجزاء من المخ؛ لذلك فإن أي مَرَض أو إصابة تؤثر في الدماغ يمكنها أن تسبب فقدانًا للذاكرة.

وتبعًا لنوع هذه الإصابة تختلف أنواع فقدان الذاكرة، وهي:

- **فقدان الذاكرة العصبي**

يحدث نتيجةً لسكتة دماغية، أو التهاب الدماغ، أو لنقص

الأكسجين الذي يصل إلى المخ.

- **فقدان الذاكرة التفارقي (فقدان الذاكرة نفسي المنشأ)**

وهو فقدان مؤقَّت في الذاكرة نتيجةً لصدمة انفعالية يتعرض لها المصاب، وعادةً ما يستمر ذلك مُدَّة قصيرة فقط.

ماذا يعني فقدان الذاكرة نفسي المنشأ؟

فقدان الذاكرة (نفسي المنشأ) هو فقدان الذاكرة بسبب صدمة نفسية؛ إذ يؤدي إلى عدم القُدْرة على تذكُّر المعلومات الشخصية المهمَّة.

وتتكون الذاكرة المفقودة من معلومات عن الأحداث المسبِّبة للصدمة النفسية، قد تستمر هذه المعلومات -على الرغم من نسيانها- في التأثير على السلوك أحيانًا.

أسباب فُقدان الذاكرة النفسي

يُعدُّ فقدان الذاكرة نفسي المنشأ أكثر شُيوعًا بين النساء بالمقارنة مع الرجال، والأشخاص الذين عانوا أو شهدوا أحداثًا مؤلمةً، مثل سوء المعاملة في الطفولة، أو الاعتداء الجسدي أو الجنسي أو الاغتصاب، والحوادث، أو وفاة أحد أفراد الأسرة.

وقد ينتج أيضًا فقدان الذاكرة نفسي المنشأ عن القلَق بشأن مشكلات وضغوطات مالية أو نزاع داخلي هائل، مثل: الشعور بالذنب تجاه بعض التصرفات، أو الصعوبات التي تبدُو غير قابلة للحل، أو الجرائم المرتكبة.

يمكن أن يستمر فقدان الذاكرة نفسي المنشأ لبعض الوقت بعد وقوع هذا الحادث المؤلم.

وقد لُوحِظ أن الأشخاص الذين يعانون فقدان الذاكرة النفسي، يسترجعون الذاكرة من تلقاء أنفسهم أحيانًا بعد مدة قصيرة.

عوامل الخطورة التي تُسبب فقدان الذاكرة النفسي

- اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD).

- الاكتئاب، اضطرابات النوم، إدمان الكحولات وبعض الأدوية.

أعراض فقدان الذاكرة التفارقي:

- يُعدُّ العرض الوحيد والأهم لفقدان الذاكرة نفسي المنشأ هو فقدان الذاكرة الخاصة بمسبب الصدمة النفسية.

- لا يستطيع مرضى فُقدان الذاكرة نفسي المنشأ تذكُّرَ المعلوماتِ الشخصية المهمَّة.

- يُظهِر بعض المرضى حالة من اللاوعي الذهني وعدم المبالاة بشكلٍ مثير للغرابة.

- يعاني معظم المصابين بفقدان الذاكرة نفسي المنشأ واحدةً أو أكثر من الثغرات في ذاكرتهم.

- يجد مصابو فقدان الذاكرة نفسي المنشأ صعوبة في تشكيل العلاقات والحِفاظ عليها.

- يسترجع بعض المرضى ذكريَّات من الماضي، كما يحدث في اضطراب ما بعد الصَّدْمة؛ أي أنَّهم يسترجعون الأحداث كما لو كانت تحدث فعلًا، ويكونون غير مدركين للتاريخ الحالي.

- يعاني بعض المرضى أعراضًا أخرى، مثل: التَّعب أو الضعف أو مشكلات في النوم.

- يعدُّ الاكتئابُ والرغبة الانتحارية والسلوكيات الضارة مثل: تعاطي الأدوية والسلوك الجنسي المتهوِّر من المشكلات الشائعة في حالات فقدان الذاكرة نفسي المنشأ.

- يعاني بعض المرضى نوبَات الشرود التفارقيّ (Dissociative fugues) وهي اختفاء المرضى من جميع أماكنهم المعتادة.

- أنواع فقدان الذاكرة نفسي المنشأ.

- فقدان الذاكرة المُوَضَّع (Localized amnesia): هو فقدان الذاكرة المرتبطة بأحداث محدَّدة أو مدَّة معينة من الزمن، التي تعرض خلالها للضغط النفسي.

- وفقدان الذاكرة الانتقائي (Selective amnesia): هو فقدان الذاكرة الخاصة بجوانب معيَّنة من الحدث فقط أو مواقف محددة فقط خلال مُدَّة من الزمن.

- فقدان الذاكرة المعمَّم (Generalized amnesia): هو فقدان ذاكرة الهُوِيَّة الشخصيَّة أو قصَّة الحياة بأكملها، وأحيانًا المهارات المكتسبة.

- وفقدان الذاكرة المَنهجي (Systematized amnesia): هو فقدان ذاكرة المعلومات لفئة معيَّنة، مثل جميع المعلومات عن أشخاص معيَّنة أو عن الأسرة.

- فقدان الذاكرة المستمرّ (Continuous amnesia): فقدان الذاكرة لكل حدث جديد يحدث.

يُجري الأطباء عادةً فحصًا سريريًّا لاستبعاد الأسباب العصبية لفقدان الذاكرة، مثل داء الزهايمر أو الخَرَف، وكذلك للتحقق من ردود الأفعال.

كما تُجرى بعض الاختبارات الأخرى لاستبعاد الأسباب المحتملة لفقدان الذاكرة، وتشمل هذه الاختبارات:

- **الاختبارات التشخيصية.**

- **الأشعة المقطعية والتصوير بالرنين المغناطيسي لاستبعاد أورام الدماغ.**

- **تخطيط كهربيَّة الدماغ EEG لاستبعاد الإصابة بالصَّرع.**

- **تحاليل الدَّم لاستبعاد تناول العقاقير أو المنشطات، والتحقق من عدم وجود عدوى أو نقص فيتامينات.**

- **الاختبار المعرفي**

يفحص الطبيب تفكير المريض، وآراءه، وذاكرته الحديثة على المدى الطويل.

ويمكن للطبيب التحقُّق من معرفة المريض بالمعلومات العامة بالإضافة إلى معلوماته الشخصية وأحداث الماضي.

ويساعد تقييم الذاكرة على تحديد مدى فقدان الذاكرة واقتراح آراء حول نوع المساعدة والدعم النفسي الذي قد يحتاج إليه المريض.

- **الاختبارات النفسية**

تساعد الاختباراتُ النفسية الأطباءَ على التمييز والفَهْم الأفضل لتجارب المريض، ومن ثَمَّ وضع خطَّة العلاج.

علاج فقدان الذاكرة التفارقي

يُعد الدعم النفسي للمريض هو كل ما هو مطلوب لمساعدة المريض على تذكُّر الجزء المفقود من ذاكرته؛ لذلك يجب مساعدة المرضى على الشعور بالأمان وتجنُّب تعرضهم للصدَمَات أو الضغوط النفسية.

قد تكون الحاجة لاستعادة الذاكرة المفقودة مُلِحَّة، فيلجأ الأطباء

إلى تطبيق بعض الطرق لمساعدة المريض على استرجاعها سريعًا، مثل:

جلسات التنويم المغناطيسي: يستخدم الأطباء هذه الطريقة لجعل المريض يشعر بالطمأنينة وتهدئة حالة القلق المرتبطة بأحداث الذاكرة المفقودة.

جَلسة مع الطبيب مع إعطاء المهدئات: يعطي الطبيب المريض الباربيتورات (Barbiturates) أو البنزوديازيبينات (Benzodiazepines)، حقنًا في الوريد.

توقعات سير المرض

تعود الذاكرة للمريض بسرعة أحيَانًا، ويستعيد معظمُ المرضى ما يبدو أنَّه ذكريات مفقودة، ويتعافون من الضغوطات التي تسببت في فقدان الذاكرة.

لكن في بعْض الحالات الأخرى قد يستمر فقدان الذاكرة، خاصةً في الأشخاص الذين يعانون الشرود التفارُقي

(Dissociative fugues)، لفترة طويلة.

شارل السادس

«لقد كنت محبوبًا، ولكن نَفر مني الأهل والأصدقاء».



من أحد الجوانب المظلمة للقاعة الكبيرة لقلعة الحاكم المهيبة التي تتلألأ بها الأضواء، وترتفع بها الكئوس وتتطاير عليًّا، وتكثُر بها ضحكات وزينة النساء. ظهر خمسة رجال يرتدون أزياء تنكُّرية على هيئة وحوش يكسوها الشعر الأسود الكثيف، حيثُ بدءوا بالرقص وهم مقيدون ببعضهم البعض بالأغلال السميكة، وكانت أزياؤهم من الحرائر ذوات اللون الأسود، المصممة لتلتصق بأجسادهم، وكانت مشبعة بالقار أو القطران([18]) لكي يبدو كما لو كان يعتليهم زغب وشعر حقيقي، حتى أصبحت هيئتهم كالوحوش المُغطاة بالشعر من رأسهم إلى أخمص قدمهم، وقد اتخذ الرجال كل التدابير لتفادي خطر الحريق. فأمروا أن يقف حاملو الشعلات في طرف القاعة، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وصل الأخ الأصغر للملك إلى الحفلة متأخرًا، واقترب من الرجال حاملًا بيده

اليمنى شعلة ليكتشف شخصية المتنكرين، ولكن على ما يبدو أنه اقترب أكثر من اللازم، وعن طريق الخطأ اشتعلت النار في أحد الراقصين، فتوقفت الضحكات، وحلَّت دونها الصرخات والاستغاثة من الجميع، وعمَّ الرعب أرجاء القاعة الكبيرة التي تعالت بها النيران، حيث بدأ الراقص المشتعل في القفز بين الجميع وتطايرت شظايا النيران حتى لحقت بباقي الراقصين، واشتعلت النيران بهم جميعًا، ولكن ذلك الراقص أسعفه حظه الكبير حيث تقدمت منه الدوقة، وألقت عليه بذيل فستانها الضخم حتى انطفأت النيران من أعلى جسده، وسرعان ما اتضح للجميع أن تلك الراقص هو (الملك) الذي أصبح هو الناجي الوحيد بعدما أحرق الأربعة راقصين حتى الموت، وقد أُصِيب الكثير من الفرسان بحروق بليغة في أيديهم ووجوههم وهم يحاولون إخماد الحريق، وقد عُرفت هذه الحادثة باسم (حفل الرجال المحترقين)، أو (حفل المجنون شارل السادس).

هل ينحدر الإنسان من القمة إلى القاع دون أدنى إنذار بذلك؟

كيف يتحول عقل إنسان من قمة الرشد إلى الجنون الأعظم؟

ولد الملك (شارل السادس) في باريس، في القصر الملكي سانت بول في 3 ديسمبر عام 1368، ومنذ أن كان طفلًا كان معروفًا بأنه سيكون الملك المقبل بعد أبيه الملك (شارل الخامس)؛ نظرًا لوفاة شقيقه الأكبر منه قبل ولادته.

عقب وفاة والده في 16 سبتمبر عام 1380، ورث عرش فرنسا. تُوِّج في 4 نوفمبر عام 1380 في كاتدرائية القديس (ريمس) كان عمر (شارل السادس) حينها 11 عامًا فقط عندما تُوِّج ملكًا على فرنسا. استلم أعمامه زمام السلطة كأوصياء عليه حتى بلوغه سن 14 عامًا وهي السن القانونية حينها، ولكن ظلوا في الوصايا حتى أصبح شابًّا في بداية العشرينيات وخلال فترة حكم أعمامه، هُدرت الموارد المالية للمملكة التي جمعها والده بعناء، على الملذات الشخصية لهم.

وقد أنهى (تشارلز السادس) وصاية أعمامِه على العرش في عام 1388، ليستفرد بالحكم وحدَه؛ إذ أعاد سلطة كبار المستشارين الاختصاصين لوالده الملك (تشارلز الخامس)، وشهدت فرنسا حالة من الاستقرار في الحالة العامة للبلاد، فقام بإلغاء الضرائب وعقد

هُدْنة مع إنجلترا لوقف الحرب التي كانت مسماة حينها بحرب المئة عام، فَعَمَّ الرخاء البلاد، وأطلق عليه الشعب لقب الملك المحبوب جدًّا، ولكن لم يدُمْ هذا طويلًا؛ ففي أواخر العشرينيات من عمر الملك أصابته حُمَّى شديدة، وظل مريضًا لأكثر من ثلاثة أشهر كان يمشي بين طرقات القصر لا يتذكر مَنْ هو ولا يتعرف إلى زوجته وأبنائه، وكان يفر منهم هاربًا ويختبئ حتى لا يراه أحد، ولم تكن الأمراض النفسية وأعراضها محلَّ اهتمام في ذلك الوقت، وصنفت حالته على أنها مسٌّ من الشيطان، ولجئوا إلى الكنيسة ورجال الدين، تعاطف معه الشعب؛ لأنه كان حينها ملكهم المحبوب.

وكانت حالته تلك تسمى بـ (فقدان الذاكرة التفارقي أو الفصامي).

وقد ظهرت عليه بعض علامات التحسُّن. وفي عام 1391 ذهب الملك في رحلة صيد لإحدى الغابات غرب فرنسا، وكان معه عدد من حُراسه الأوفياء، وفي أثناء تجول الملك داخل الغابة ظهر من بين الأشجار رجل عجوز، ووقف أمام الملك وقال بصوت مرتعد: «احذر منهم سيدي؛ إنهم يقومون بخيانتك ويتآمرون لقتلك».

انزعج الملك من كلمات العجوز، وأمر الحراس بأن يبعدوه عن مرمى نظره، فأخذوه وقذفوا به بعيدًا، وتابعوا طريقهم داخل الغابة، وبعد قليل من الوقت أمرهم الملك بالتوقُّف لأخذ استراحة الظهيرة، وفي أثناء نومه سمع الملك أصواتًا وصخبًا فاستيقظ فزعًا وأَخَذَ سيفَهُ وقال: «لقد صَدَقَ العجوزُ؛ هذه مؤامرة». وبدأ في قتل الحراس في أثناء نومهم، فقضى على أربعة منهم، وقد تمكن باقي الحراس من السيطرة عليه وربطوه، وعادوا به إلى القصر. لم يتفاجأ من كانوا بالقصر بما فعله الملك؛ لأنهم كانوا معتادين على مثل نوبات الجنون هذه التي كانت تُصيبه من حين لآخر.

لم يتوقف جنون الملك (شارل السادس) إلى هذا الحد بل زاد، ووصل إلى ذروته، وواصل انهياره العقلي.

ففي أحد الأيام لاحظ المسئولون عن رعاية الملك أنه منذ فترة وهو متوقف عن الحركة، لا يأكل إلا القليل، وظل قرابة الخمسة أشهر لا يستحم حتى أصبحت ريحته كريهة، ولا يستطيع أحد الاقتراب منه، ثم تزايدت هذه الحالة حتى وصلت لكونه بات يصرخ ألا يقترب منه أحد وهو يصيح: أنا رجل مبارك، قد ميَّزني

الله عنكم، فصنعني من الزجاج، وكانت هذه أول حالة تُسجل في التاريخ عن اضطراب نفسي جديد عُرف بعد ذلك باسم

(الوهم الزجاجي)، وهو حالة نادرة من تطور أعراض الاعتلال النفسي لديه ، وفيه يعتقد المُصاب بأن جسده مصنوع من الزجاج وقابل لأن يتحطم في أي لحظة.

وبناءً على ذلك أمر الملك بأن يَصنع له الخياطون ملابس مبطنة حتى يتفادى جسده الكسر، ولم يكتفِ بهذا القدْر من الرِّيبة، حيث جعل المسئولين يقومون بتبطين الجدران للجناح الملكي الذي

يقطنه، وقام بحبس نفسه داخلها.

وظل هكذا حتى أُصيب بالملاريا، وتوفي الملك (شارل السادس) عام 1422، ولم يتغلب على ذلك الوهم الذي تملكه، ومع كل تلك الأمراض النفسية ظل (شارل السادس) يحكم فرنسا قرابة 42 عامًا.

الفصل الثالث عشر الاضطراب الضلالي (delusional disorder)

ما تعريف الضلالات؟

الضلالات (delusions)، أو ما يُعرف بمرض الضلال الفكري هو أن يعتقد الشخص في شيء معين اعتقادًا جازمًا، ويكون عنده من المسلَّمات التي لا تقبل الحوار أو المناقشة، وتكون تلك الفكرة التي تبنَّاها واعتقدها هي (محور مَرَض الضلالات)؛ فقد يعتقد الشخص المريض بالضلالات أن لديه أنفًا كبيرًا، وتكون هذه الفكرة في عقله راسخة ويقينية، ولا تحتاج إلى أي نقاش حولها، كما يعتقد بأن الشمس تشرق في الصباح، وتغرب في المساء، وهذه أشياء مُسلَّمات عنده، ومهما كشف الأطباء عليه وأقنعوه بأن أنفه ليست كبيرة كما أنها أنف طبيعية لا يقتنع بتاتًا بهذا الأمر، وقد يتمحور مرض شخص مصاب باضطراب الضلال الفكري بأنه يخرج منه رائحة كريهة حتى لو حاول الأهل إقناعه بأنه شخص سليم، ولا يخرج منه أية روائح كريهة إلا أنه لا يقتنع حتى بكلام الأطباء.

في حقيقة الأمر مريض الضلالات يُمارس الحياة بشكل طبيعي تمامًا؛ فلا إعاقة لحياته لكن المشكلة تكمُن في هذه الضلالة التي يعتقدها، وإذا ما صارت الأمور بعيدًا عن اعتقاده في أمر ما لا يقبل المناقشة ولا الحوار كأنَّ الأمر على ما يرام، أما إذا صار هناك نِقاش أو جدال حول تلك الضلالة فإنه يصبح شخصًا آخر، وربما يسب ويشتم ويتحول إلى شخص غير طبيعي وعدواني تمامًا خاصةً في ضلالات الشك أو ضلالات الاضطهاد.

يكون مريضُ الضلالات في اتزان تام وشخصًا طبيعيًّا تمامًا فيما إذا تعلق الأمر بالضلالة، وقد يكون شخصًا ناجحًا في أعماله ولديه عواطف حية، وأفكاره معقولة، وجميع سلوكياته متزنة لكن في حين أن يكون الحديث عن الضلالة التي يعتقدها فترى شخصًا آخر غير مُتَّزن بالمرة،

فيتصرف وفق ما تمليه عليه الضلالة، ويسب ويشتم ويُهدِّد، وقد يتوعَّد، وغيرها من التصرفات غير السويَّة.

ما أشهر أنواع الضلالات؟

هناك خلْط بشكل كبير في تشخيص الاضطرابات النفسية، وبشكل خاص في المجتمعات العربية؛ والسبب في ذلك تشابُه

الأعراض، واختلاف درجة الإصابة بالاضطراب عند الأشخاص، وقد يكون الحد الفاصل بين الوساوس ومَرَض الضلال غير واضح في بعض الأحيان، أو الفرق بين الهلاوس والأوهام؛ لذا لا بد من التدقيق في تشخيص الاضطرابات النفسية؛ وذلك من خلال الأطباء النفسيين ذوي الخبرة في علاج الاضطرابات النفسية.

الضلالات وأنواعها قد لا تُحصى فهي مجرد فكرة يعتقدها الشخص المريض، ولكن هناك العديد من أنواع الضلالات النفسية مشهورة ومنتشرة من اضطراب الضلالة الفكرية، ومن أهمها:

- **أولًا: ضلالات الخيانة**: وهي من أشهر الضلالات المنتشرة، حيث يعتقد الشخص المريض بالضلالة بأن من يحبه أو أن زوجته تخونه مع أشخاص آخرين، ويكون منشأ هذا النوع من الضلالة الفكرية من الغيرة المرضية الوهمية لدى بعض الأشخاص دون أي دليل. ويقضي الشخص المريض طيلة وقته في البحث عن الدلائل والبراهين لمواجهة زوجته بتلك الخيانة المزعومة.

- **ثانيًا: ضلالات الفناء والعدم:** محور ضلالة العدم هو اعتقاد الشخص بأنه غير موجود، أو أن العالم بأسره غير موجود، أو أن العالم حوله في سبيله إلى الفناء، أو أن جزءًا من جسمه غير موجود، أو أن الآخرين من حوله لا وجود لهم، وغيرها من الأفكار الضلالية التي مبناها على العدمية والفناء.

- **ثالثًا: ضلالات العظمة**: وهذا النوع من الضلالات يعتقد فيه المريض بأنه يمتلك من القدرات الخارقة والملكات الخاصة التي قد لا توجد لدى أحد من البشر، وأنه يمتلك الخوارق التي أهَّلته لتولي مهمة خاصة في الكون، وضلالات العظمة هي جزء مُصغَّر من جنون العظمة الكبرى وأحد أعراضها الرئيسية.

- **رابعًا: الضلالات الجسدية:** وفي هذا النوع من الضلالات الفكرية يعتقد الشخص المريض بالضلالة بأنه تخرج منه رائحة من الجسم من الفم كانت أو الأنف أو من الفرج، أو من يعتقد بأن لديه حشرات تسير على جسده أو أن عنده عدوى طفيلية، أو وهم الإصابة بالداء الطفيلي؛ وهو اعتقاد بأن حشرات أو عناكب أو قمل أو أي من أنواع البكتيريا أو الكائنات التي لا ترى بالعين المجردة تغزو جسمه. وقد يعتقد مريض الضلالات الجسمانية بأن أجهزة التنفس عنده متوقفة عن العمل، أو أنه لا يمتلك الكبد أو الكلى، أو أن أعداءه قد

سرقوا أمعاءه ويعيش بلا أمعاء.

- **خامسًا: الضلالات الدينية**: وتتضمن تلك الضلالة الأمور الدينية والروحية؛ وهي قريبة من ضلالات العظمة، وتأتي متحدة معها، فيعتقد الشخص مثلًا بأنه الإله أو أن الله اختاره ليكون هو خليفته في الأرض!

- **سادسًا: الضلالات الجنسية**: وهي اعتقاد مريض الضلالة الفكرية بأن أحدًا يطلب ممارسة الجنس معه، أو أن بنات الجيران يتحرشن به ويُردن أن يُقمن علاقة جنسية معه، أو أنه يمارس الجنس مع الأطفال، أو كونه شاذًّا جنسيًّا، وغيرها من الأمور المتعلقة بالجنس.

- **سابعًا: ضلالات الاضطهاد**: وهي من أشهر أنواع مرض الضلال؛ إذ يعتقد الشخص المريض بأن الجميع يحيكون ضده المؤامرات، ويحاولون إيقاعه في المشكلات؛ فالأهل والزوجة يحاولون أن يؤذوه بوضع السم له في الأكل، والجار الذي يرفع صوت تلفازه؛ لأنه يريد إزعاجه فحسب، وأن زملاء العمل يريدون أن يوغروا صدر المدير تجاهه، وأنهم يريدون فصْلَه من وظيفته من خلال تشويه سُمعته وصورته في ميدان العمل.

- **ثامنًا: ضلالات الإشارة**: يعتقد الشخص المريض بالضلالات بأن سلوكيات وأقوال الآخرين له معنى يفهمه هو فحسب، فيعتقد بأن حديث المارة في الشارع يكون عنه، وأن المذيع في التلفاز يوجه لك الكلام أو الأخبار التلفزيونية تتحدث عنه، وأن كلام الجيران يكون عليه، وأنهم يتكلمون عنه بكلام جنسي مستوحش بأنه عاجز عن الجنس أو أنه شخص شاذ جنسيًّا.

- **تاسعًا: ضلالات المراقبة**: يشعر الشخص المريض بأن العالم من حوله يراقبه؛ فجهاز المخابرات والمباحث يبحثون عنه، ويرسلون الأشخاص ليراقبوه أو أنهم يزرعون كاميرات للمراقبة في البيت للتنصت عليه أو كون أحد الأعداء قد وضع جهاز تسجيل على سُلَّم العمارة، أو يعتقد بأن هناك من يريدون إيذاءه قد وضع جهازًا للإرسال والاستقبال في الأذن أو على العين من أجل مراقبته.

- **عاشرًا: ضلالات السيطرة على الأفكار**: ونبدأها بضلالة زرع الأفكار؛ وهي اعتقاد الشخص المريض بالضلالة بأن هناك مِن الناس من يمكنه التوصل إلى عقله وزراعة أفكار بالدماغ، وإدخالها فيه من خلال الموبايل أو أجهزة اللاسلكي أو القمر الصناعي، وضلالات

استخراج الأفكار من دماغ الشخص، وضلالة التحكم في الأفكار ونشرها.

أسباب مرض الضلالات الفكرية

في السنوات الأخيرة حصل تطور علمي هائل في مجال علاج الاضطرابات النفسية وتقنيات العلاج إلا أن هذا التطور الكبير الحاصل في مجال علم النفس وتحليل الشخصية والاختبارات الشخصية وظهور أحدث أساليب وطُرُق علاج للمرض النفسي، والذي يوازي التطورات الحاصلة في مجال علاج الأمراض العضوية إلا أن هذا التطور لم يعُد كافيًا للوصول إلى مسببات المرض النفسي، على الرغم من الوصول إلى العديد من أسرار الدماغ والمُخ البشري؛ فإنها لم تعُد كافية لتحديد وبِدِقَّة أسباب الاضطراب النفسي الحاصل. وفي الواقع مرض الضلالات الفكرية من الأمراض النفسية العجيبة التي لم يُعلم سببها بشكل دقيق ومُحدَّد لكن استطاع علماء الطب النفسي والباحثون في النفس البشرية التوصُّل إلى العديد من العوامل والأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بمرض الضلالات والتي تساعد بشكل كبير في ظهور المرض، ومن أهم تلك الأسباب:

- **أولًا:** الصراعات الداخلية في نفس المريض، والتي يتمحور حولها موضوع الضلالة.

- **ثانيًا:** في كثير من الأحيان يكون مرض الضلالات ناجمًا عن الإصابة بالأمراض النفسية كالاكتئاب، ومرض الفصام الذهاني الذي يكون له دور كبير بإصابة الشخص بالضلالات.

- **ثالثًا:** مشاعر سلبية تكون في الإنسان تتسبب في حدوث الضلالات، من أهمها الشعور بالنقْص والعجْز وانعدام الثقة بالنفس، وهذه من أهم عوامل الإصابة بمرض الضلالات.

- **رابعًا:** حين لا تتساوى المكانة التي يحصل عليها الشخص في المجتمع والإنجازات التي قدَّمَها مع الطموحات التي كان يصبو إليها، فمن هنا يسير الشخص وراء فِكرة تساير الطموح والمكانة التي كان يتطلع إليها، فيعتقد مثلًا بأنه رسول، أو أن له قدرات خارقة أو غيرها من الضلالات الفكرية التي تُصيب الأشخاص.

- **خامسًا:** على الرغم من أن الضلالات ليست من لوازم مرحلة الشيخوخة؛ فإن التقدم بالسن عامل كبير في الإصابة بالاضطرابات

النفسية بشكل عام، منها الاكتئاب عند المسنين، والهلاوس السمعية والبصرية لدى كبار السن وغيرها من الأمراض النفسية التي تُصيب الأشخاص في تلك المرحلة العُمرية.

- **سادسًا:** الواقع المُؤلم، وظروف الحياة القاسية التي يتعرض لها الأشخاص مع عدم قدرتهم على التكيُّف أو مواجهة الواقع؛ فالتعرض للظروف المجتمعية القاسية التي تؤثر في حياة الأشخاص، وربما تؤثر بشكل كبير في المستقبل مثل فقْد الوظيفة، حالات الطلاق مع الشعور بعدم الأمان أو موت شخص عزيز كان له دور في حياة الشخص، ربما يكون لهذه الأمور والأحداث دور كبير في الإصابة بمرض الضلال.

سِمات الاضطراب الضلالي

بالرغم من أنَّ مرض الضلال يتمركز حول فكرة أو أكثر يعتقدها الشخص، ولا يقبل المناقشة ولا الجدال حولها؛ فإن هناك العديد من السمات التي يتَّسِم بها المرض تتمثل في المحاور الآتية:

- **أولًا:** الاضطراب الضلالي؛ اضطراب أوَّلِي.

- **ثانيًا:** مرض الضلالات الفكرية مرض مستقر، ويتسم بوجود الأوهام والأفكار الوهمية غير المنطقية التي يتمسك بها المريض مع المثابرة غير العادية.

- **ثالثًا:** إذا لم يكن علاج الضلالات مُبكِّرًا من خلال مصحة نفسية متخصصة في علاج الاضطرابات النفسية والعقلية فسيكون الاضطراب مُزمنًا، ويستمر مرض الضلالات طويلًا أيًّا كان نوع تلك الضلالة التي يعتقدها الشخص.

- **رابعًا:** فكرة الضلالة التي يعتقدها المريض تكون متسقة في داخله، وتُبنى على أمور منطقية لديه؛ ولذا لا يقبل المناقشة فيها ولا الحوار حولها لاعتقاده الجازم بصحتها.

كيفية علاج مرض الضلال؟

كما ذكرنا بأن مريض الضلالات يعيش حياته بشكل طبيعي إلا فيما إذا تعلق الأمر بالضلالة، ونظرًا لأن المريض لا يقبل فكرة العلاج؛ لأن لديه اعتقادًا راسخًا فيما يعتقده من أفكار لكن مع محاولات الأهل والدعم العائلي للمريض فإن المريض يقتنع بالذهاب إلى الطبيب، ومن ثم يبدأ دور الطبيب النفسي ونحن في

مركز (ميديكال) للطب النفسي وعلاج الإدمان لدينا متخصصون من الأطباء والاستشاريين النفسيين في علاج اضطراب الضلال.

يستجيب مريض الضلال للعلاج بشكل كبير، ومن خلال العلاج النفسي والعقاقير الطبية فإن الحالة تتحسن تمامًا حتى وإن طالت مدة العلاج لكن ما يُصعِّب الأمور، ويزيد من تفاقم المشكلة أنه إذا توقف عن تناول الدواء تعود الأعراض للمريض مرة أخرى، وتتحول إلى انتكاسة للمرض.

يعتقد مريض الضلالات بأن مجرد عرض فكرة العلاج هي هي تدخل بصورة مباشرة في شئونه الشخصية؛ لأنه في الأساس لا يعتقد بكونه مريضًا، وتكون الضلالة التي يعانيها هي أمور مُسلَّمات

كاسمه تمامًا لكن مع المحاولات من قبل الأسرة والأشخاص المقربين يقتنع لإرضائهم مع عدم قناعته الشخصية بأنه مريض؛ لأنه غير مُستبصِر بحالته.

العلاج بالعقاقير لمرضى الضلالات متمثِّل في الأدوية المضادة للذهان، ولكن لا يكون الأمر هباءً، لكن من خلال طبيب نفسي متخصص، هذا بالإضافة إلى العلاج النفسي والمتمثل في العلاج السلوكي المعرفي واستبدال الأفكار الخاطئة لدى مريض الضلال بالاعتقادات السليمة المبنية على أُسُس منطقية وعقلية، وتعليم الشخص المهارات اللازمة للسيطرة على عواطفه.

العلاج السُّلوكي المعرفي: وهو من أنجع العلاجات النفسية التي تستخدم في علاج مرض الضلال؛ بحيث تحدد الافتراضات الخاطئة ويُدرَّب الشخص المريض على كيفية السيطرة على العواطف وتغيير الأفكار السلبية التي توجد في عقل المريض إلى أفكار صحيحة.

علاج الضلالات بالكهرباء: علاج مرض الضلالات بالتخليج الكهربي؛ وهو من أشهر طُرُق العلاج في العصر الحديث، ويكون اللجوء إليه في الحالات المتأخرة من المرض والتي لا يستجيب فيها المريض للعلاج النفسي والدوائي، ومن خلال جلسات لضبط إيقاع الدماغ، وبالفعل هناك العديد من حالات شُفيت من مرض الضلالات نهائيًّا.

الحاكم بأمر الله الفاطمي

«إنني إمام هذا العصر، وللإمام أن يُشرِّع ما فيه صلاح أمته».



في جنح الليل، بينما يخيم الظلام في جميع الأنحاء إلا من أضواء النجوم الخافتة، يظهر بجسده النحيل، يرتدي جلبابًا أسود من الصوف عليه جُبة من الصوف المرقع بالكثير من الألوان الباهتة، يتدلَّى شعره الأشعث إلى أسفل عنقه، تغطي لحيته أغلب وجهه، أظافره طويلة وحادَّة، يهز قدميه يمينًا ويسارًا وهو يمتطى ظهر حمارته الشهباء. حتى يصل إلى منزل من الصخور الصفراء والبنيه أعلى جبل المقطم، يتلفت حوله ثم يجلس أمام المنزل يستطلع أحول النجوم، ويظل على حالته هذه قرابة الخمس ساعات يبرق بنظره إلى النجوم. ثم يعود في الفجر ويقف أعلى منبر المسجد ويقول:

«يا أيها الناس، لقد أُوتيت من السماء أمرًا عاجلًا، وإني لمُبشركم به فاسمعوا.. من الآن سوف يُؤذن لصلاة الظهر في السابعة مساءً وصلاة العصر في التاسعة، لن تُصلى صلاة الجمعة، ولا صلاة لقيام

الليل، ولا تراويح في شهر رمضان. ستغلق الأسواق والدكاكين نهارًا وتُفتح ليلًا. وإذا ذكر الخطيب اسمي على المنبر قام الجميع على أقدامهم صفوفًا؛ إعظامًا لذكري، وهذا أمر لجميع الممالك التي تحت حكمي بما فيهم الحرمان الشريفان. وإذا ذُكر اسمي في الأسواق والطرقات خرَّ الجميع سُجَّدًا».

سادت حالة من السكون داخل المسجد، لا أحد يتحدث، الجميع يهمس فقط بكلمات غير مفهومة.

في صباح اليوم التالي لتلك الأوامر التي زعم أنه تلقَّاها من السماء، ركب على حماره وأخذ يتجول في الأسواق، فمن وجده قد غَشَّ في معيشته ولم يلتزم بما قاله، أمر عبدًا أسود معه يقال له مسعود بأن يفعل به الفاحشة العظمى.

لم تكنْ تلك أغرب ما صدر عن شخصية أثارت حولها الكثير من التناقضات..

إنه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي الشهير باسم (الحاكم بأمر الله الفاطمي)، سادس حكام الدولة الفاطمية الإسماعيلية. بعد وفاة الخليفة العزيز بالله خلفهُ الولد الوحيد الذي أنجبه من زوجته المسيحية

اليونانية، تربَّى الخليفة الصغير تربيةً شيعية، وعندما بلغ 11 سنة اعتلى عرش الخلافة ولقب باسم الحاكم بأمر الله الفاطمي، وسُمِّي أيضًا الإمام المنصور. في ذلك الوقت كان الخليفة قاصرًا وقام بالوصاية عليه وزيره (برجوان الصقلبي) تنفيذًا لوصية أبيه، وكان (برجوان) عبدًا خصيًّا سلافونيًّا من كرواتيا.

تربَّى في قصر (العزيز)، وكان ماهرًا في القيام بالأعمال الموكلة إليه، فاكتسب ثقة الخليفة، وظل يترقَّى في المناصب حتى وصل إلى منصب الوزارة، ثم أصبح وصيًّا على ابنه القاصر بناءً على وصية الخليفة قبل موته إلا أنه كان هناك صراع على السلطة بين الوصي (برجوان) وبين قائد جيش الخليفة ابن الحسن بن عمار الكتامي، فعمَّت الفوضى البلاد لشِدَّة هذه الخلافات.

أما (الحاكم بأمر الله) فعندما بلغ 15 عامًا -وهو عُمر الخلافة في الشريعة الإسلامية- سارع إلى طمأنة كل الموظفين النصارى على مراكزهم، واهتدى بنصائح أخته (ست الملك) التي كانت تعطف

على النصارى عطفًا شديدًا.

ولكن كان هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة.

اضطربت نفسية الصبي دون سبب واضح لذلك، فأصبح شديد الهياج مُحِبًّا لسفْك الدماء.

وأول من قتل هو أستاذه (برجوان) الذى ربَّاه، وسبب غدره على معلمه أنه كان يسميه في صغره (الوزغة)؛ أي السحلية؛ لأنه كان دميم الخلقة، فأرسل في طلب معلمه قائلا: «الوزغة الصغيرة قد صار تنينًا عظيمًا وهو يدعوك» فقام (برجوان) وذهب إليه وهو يرتعد، وعندما حضر إليه أمر بقطع رأسه، وكان ذلك في عام 390 هـ، 1000م.

غير أن الحاكم ما لبث أن أتبع ضربته بضربة دموية أخرى هي مقتل (الحسن بن عمار) زعيم كتامة، وأحد الأوصياء عليه. وفي سنة 393 هـ قتل (الحاكم) وزيره (فهد بن إبراهيم النصراني)،

بعد أن قضى في منصبه ثلاثة أعوام، وأقام الحاكم مكانه (علي بن عمر العداس)، ولكن لم تمضِ أشهر قلائل حتى سخط عليه وقتله بلا سبب.

ومنذ ذلك الحين بدأ عصر جديد من الغرائب التي لا يُصدِّقها عقل.

بدأ عقل الحاكم بأمر الله ينسج القصص غير العقلانية التي تتحد مع ضلالات وأوهام، وتكون الأوهام مبنية بشكل منطقي، وتكون متسقة داخليًّا لديه، فكان الاضطراب الضلالي يسيطر عليه بشكل تام، وبرغم ذلك ظلت شخصيته متماسكة خارجيًّا بشكل كبير واختبار الواقع لديه سليم نسبيًّا.

ففي سنة 395هـ اضطهد أهل الذمة من اليهود والنصارى؛ فأمر أهل الذمة بالدخول في الإسلام أو الانتقال إلى بلاد الروم، ومن أراد منهم البقاء في مصر فعليه أن يُعلِّق صليبًا من الذهب والفضة إن كان نصرانيًّا، ويجب أن يُعلِّق تمثال عجل على صدره إن كان يهوديًّا. ثم أمر استخدام الصلبان من الفضة والذهب بدلًا من الخشب، كما أمر أن تستبدل رءوس العجول بمثلها خشبًا، ومنع أهل الذمة من ركوب الخيل، ومنعهم من دخول الحمامات إلا إذا وضعوا في أعناقهم جرسًا ليتميزوا عن المسلمين، وأمر بهدم الكنائس، ومنها كنيسة القيامة في بيت المقدس، ثم أذن في إعادة بنائها،

وقتل من أسلم ثم ارتدَّ إلى دينه، ثم أذن لمن أسلم أن يعود إلى دينه كما منع خروج النساء، وأمر بالتزام بيوتهن ليلًا ونهارًا، ومنع الرجال من ارتياد المقاهي.

أما موقفُ الحاكم من أحكام وأركان الإسلام، فقد أصدر سنة 400 هـ سجل بإلغاء الزكاة، وألغى صلاة الجمعة وصلاة التراويح في رمضان، وكذلك ألغى الصلاة في العيدين، وألغى الحج، وأبطل الكسوة النبوية، وأمر بسب السلف والصحابة؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وكتب ذلك على أبواب المساجد والمقابر، وأرغم الناس على المُجاهرة به ونقشه في سائر الأماكن.

وقد أَمَر نائبه على مدينة دمشق أن يضرب رجلًا مغربيًّا، والطواف به على حمار، وينادى عليه: «هذا جزاء من أحبَّ أبا بكر وعمر». ثم أمر بهِ فضُرِبتْ عنقُه.

وحرَّم أكل الملوخية؛ بسبب كرهه الشديد لأهل دمشق الذين يرجع أصلهم إلى الخليفة الأموي معاوية الذي كان يحب الملوخية.

وللحاكم قصة دموية مروعة مع خادمه (غين) وكاتبه (أبي القاسم الجرجرائي)، وكان (غين) من الخدم الصقالبة الذين يؤثرهم الحاكم بعطفه وثقته، فعيَّنه في سنة 402هـ للشرطة والحسبة، ولقَّبه بقائد القواد، وعَهِد إليه بتنفيذ المراسيم الدينية والاجتماعية، وعَهِد بالكتابة إلى (أبي القاسم الجرجرائي)، وكان الحاكم قد سخط على (غين) قبل ذلك ببضعة أعوام وأمر بقطع يده، فصار أقطع اليد، ثم سخط عليه كرَّة أخرى، وأمر بقطع يده الثانية، فقُطعت وحملت إلى الحاكم في طبق، فبعث إليه الأطباء للعناية به ووصله بمال وتُحَف كثيرة، ولكن لم تمضِ أيام قلائل على ذلك حتى أَمَرَ بقطع لسانه، فقطع وحمل إلى الحاكم أيضًا، ومات (غين) من جراحه.

وأما (أبو القاسم الجرجرائي) فقد أمر (الحاكم) بقطع يديه لوشاية صدرت في حقه، ولكنه أبقى على حياته، وعاش أقطع اليدين.

وعندما كان يشعر بالملل يأمر بإحراق الشونة ليتمتع بمرأى النيران ويقول: هذا أمر من السماء. وذات مساء وجد عشرة أشخاص وهو يمشي في طريق مُظلِم، سألوه الإحسان فأمر أن

ينقسموا إلى فريقين يتقاتلان، حتى يغلب أحدهما فيُنعم عليه، فتقاتلا حتى فني منهم تسعة وبقي واحد، فألقى عليه الدنانير، فلما انحنى ليأخذها أمر بقتله.

وأكمل طريقه، وعندما مَرَّ على دكان شواء انتزع منه سكينًا وقتله بها أحد الحراس المقربين لديه بغير سبب معروف، وأمر بترك الجثة في موضعها، وفي اليوم التالي أرسل (الحاكم) إليه كفنًا جليلًا، وأمر بدفنه مع التكريم.

اضطربت حالته أكثر وزادت الاضطرابات الضلالية لديه، وأصبح يتوهم أنه يسمع أوامر من السماء ليل نهار، وفي ذلك التوقيت نادى بألوهيته وفدٌ من دُعاة المذهب الإسماعيلي قدم إلى مصر وعلى رأسهم (محمد بن إسماعيل الدرزي) و(حمزة بن علي الفارسي)، فراقت للحاكم فكرة التأْليه، واعتقد تجسد الإله في شخصه، وأُعلِنت الدعوة بتأليهه سنة 408هـ، واتخذ بيتًا في جبل المقطم،

وفتح سجلًا تكتب فيه أسماء المؤمنين به، فكتبت فيه أسماء سبعة عشر ألفا من أهل القاهرة، كلهم يخشون بطشه، في هذه الفترة تحول اسمه من (الحاكم بأمر الله) إلى (الحاكم بأمره)، وصار قوم من الجهال إذا رأوه قالوا: «يا واحدنا يا واحدنا، يا محيي ويا مميت».

وكان يحتالُ بكل حيلة لإقناع الناس بقدرته وعلمه، وقد أرسل مرة وراء بعض اللصوص، وأمرهم أن يسرقوا من مخازن مصر في إحدى الليالي أشياء معلومة فأطاعوا أمْرَهُ، وكان قبل ذلك قد أَمَرَ الناس بترْك بيوتهم ودكاكينهم مفتوحةً طوال الليل بدعوى أن السَّرِقة لا تجوز في أيامه، وتعهد لكل من يسرق له شيئًا بردِّه ومعرفة السارق.

فلما دار الذين استأجرهم للسرقة، وأخذوا ما أخذوه، تقدَّم إليه أصحاب الحاجيات يشكون إليه الأمر فقال: اذهبوا إلى أبي الهول الذي صنعته يخبركم بما تريدون، وكان قد صنع تمثالًا من النحاس على صورة أبي الهول، ووضع داخله رجلًا يعرف أسماء السارقين، والذين سُرقت الأشياء من دكاكينهم، فإذا جاء الرجل منهم وقصَّ حكايته، أجابه الرجل من داخل الصنم أنِ اذهب إلى بيت فلان تجد حاجتك، وصحَّت أقاويله، فهلَّل الناس واعتقدوا في الخليفة أشكالًا وألوانًا من المعجزات.

تأثر سلوك الحاكم بفكرة الألوهية، وأن كل ما صدر عن (الحاكم بأمر الله) من أعمال وأقوال إنما كان بدافع واحد هو تأليهه.

فالحاكم تولَّى مقاليد الحُكم وهو صغير السن، وقد أُحِيط بهالة خاصة مما أسبغته العقيدة الإسماعيلية عن أئمتها، فتأثر بهذه العقائد، إلى جانب أنه رأى حاشيته ورعيته يسجدون له كلما مَرَّ بهم، فشاع طمُوحُه وهو في مثل هذه السن الصغيرة أن يكون إلهًا مثل الملوك الأقدمين من الفراعنة.

والشيء المؤكد أن هذه السياسة التي اتبعها (الحاكم) كانت مقررة، ليفهم من أفعاله أنه هو الخالق، وأنه هو المحيي والمميت، والرازق والوهاب، إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا. فها هو الحاكم بأمر الله يُسْرِف في القتل ليقال: إنه مُمِيت، ويرزق الناس ويهبهم ليقال: إنه رزاق وهَّاب، ويعفو عمن يستحق القتل ليقال: إنه محيي.

وفي إحدى الليالي من سنة 411هـ وُجِد مقتولًا في ناحية من جبل المقطم. وقيل: إنهم لم يعثروا على جثته، وإنما وُجِدت ملابسه ملوثة بالدم، ويقال: إن أخته (ست الملك) كلفت القائد (حسين بن دواس) زعيم قبيلة كتامة بقتله؛ لأنه افترى عليها واتهمها بالزنى، وأنها تحمل سفاحًا دون زواج، رغم أنها في ذلك الوقت تعدَّت الخمسين من عمرها.

أتمَّ (الدواس) المهمة فقتله ثم قتلت (ابن دواس)، وقتلت معه من اطلع على سِرِّ القتل، ثم أبدت الحزن على أخيها وجلست للعزاء. كان عمر الحاكم لما قتل سبعًا وثلاثين سنة، وكانت مدة ولايته خمسًا وعشرين سنة، خلفه ابنه (الظاهر أبو الحسن علي)، فأزال المظاهر التي أحدثها أبوه، وأعلن في السجل الذي أصدره براءته من المزاعم التي قِيلَت في أبيه وأسلافه.

الفصل الرابع عشر البانثروبيا (Boanthroby)

(البانثروبيا) هي اضطراب نفسي نادر جدًّا، ونوع من أنواع الأوهام والضلالات؛ حيث يعتقد المصابون به بأنهم ثيران أو أبقار فيفقدون إحساسهم بأنهم بَشَر، فيمشون على أربع، ويأكلون من حشائش الأرض، وبدلًا من التحدث يقومون بالخوار والصراخ. لا تعدُّ أسباب هذا المرض واضحة، لكونه نادرًا لكن العلماء يقولون إنه أحد أشكال الأمراض النفسية مثل الاضطراب ثنائي القطب والفصام، وقد يصل الأمر إلى الهلوسة، كما يعتقدون بأن الخلل يمكن أن يكون عصبيًّا أو وراثيًّا، فيما يقول (سيجموند فرويد): «إن المصابين بهذه الحالة حلموا سابقًا أنهم أبقار ثم صدقوا أحلامهم في الواقع». يتلقى المصاب بهذا الاضطراب علاجًا نفسيًّا ودوائيًّا.

ويتشابه هذا الاضطراب مع اضطراب

لايكا أنثروبي (Lycanthropy): وفيه يعتقد المريض بأنه ذئب.

بختنصر أو نبوخذ نصر الثاني

«لن تلِد الأمهات أعظم مما ولدت أمي؛ فهي ولدت آخر العظماء على الأرض».

«يَطردونك من بين الناس، وتكون سُكناك مع حيوانات البراري، ويطعمونك العشب كالثيران، ويبلونك بندى السماء فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أنَّ العليَّ مُتسلط في مملكة الناس ويُعطيها من يشاء».

وردت هذه النبوءة في سفر دانيال الإصحاح الرابع (دا٨١: ٤-١٨)



ذات يوم استيقظ الملك (بختنصر) من نومه فزعًا، لقد رأى حُلمًا أزعجه، وطرد عنه النوم فأمر أن يُدعى السحرة والمجوس والعرَّافون والمنجِّمون؛ ليخبروه بتأويل ذلك الحلم، فحضروا ومثُلوا أمامه فقال لهم الملك: «إني حلمتُ حُلمًا انزعجت له نفسي، ولن تطمئن حتى تعرف الحلم ومعناه».

فقالوا: «لتعش للأبد أيها الملك، ليدم سلطانك أبد الدهر.. أسرد على عبيدك الحلم فنفسره لك».

فقال لهم الملك: «لقد أخبرتكم بما يمكن أن أخبركم به، وصدر عني الأمر إن لم تسردوا عليَّ الحُلم وتفسيره سوف أمزقكم إربًا إربًا، وتصبح بيوتكم أنقاضًا بمن فيها، وإن أنبأتموني بالحلم وتفسيره أُغدق عليكم من النعيم ما لم تره أعينكم».

فأجابوه مرةً ثانية: «ليُنبئ الملك عبيده بالحلم فنكشف له معناه».

فرد الملك غاضبًا: «إني أعلم يقينًا أنكم تسعون لاكتساب الوقت،

ولكن لا وقت أمامكم، لو لم تنبئوني بالحلم الآن فسوف أُصْدر أمرًا بمعاقبتكم؛ لأنكم اتفقتوا على اختلاق الكذب والضلال لتنطقوا بها أمامي؛ لذلك أنبئوني أولًا بما حلمتُ فأعلم حينها أنكم قادرون على تفسيره».

فقالوا له: «ليس على الأرض إنسان في وسعه تلبية أمر الملك، ولم يحدث قط أن ملكًا عظيمًا ذا سلطان طلب مثل هذا الأمر من مجوسي أو ساحر أو مُنجم، ومطلب الملك لا يمكن لأحد أن يتنبأ به سوى الآلهة الذين لا يسكنون مع البشر».

عند ذلك استشاط الملك غضبًا وألقة كل شيء وقعت عليه عينه، فجُرحت يدُه، وسالت منها الدماء، فبرُقت عينه وهو ينظر للدماء وتعجب وقال: «كيف تسيل مني تلك الدماء، ومن أين أتت؟! إنني إله ولستُ بشرًا».

وظل يصرخ، وتملَّك منه اضطراب حاد، وأخذ يهذي: «أنا إله الآلهة».

وأمر بإبادة كل حكماء بابل الذين لم يستطيعوا معرفة حلمه.

انتشر خبر الملك في القلعة حتى وصل إلى مسامع النبي دانيال(19) الذي قد أُسِرَ من قبل الملك في أثناء حربه على القدس، وعندما رأى منه الملك الحكمة قام بضمه لحكماء بابل.

ذهب إليه وقال له: «أنا أستطيع أن أخبرك بالحلم وتفسيره».

ردَّ عليه (بختنصر): «وإن لم تستطع سوف يكون مصيرك الموت».

قال له (دانيال): «أيها الملك لقد رأيتَ في حُلمك أنك كنت تَرعى، وقد ضلَّ عنك القطيع، وإذا بشجرة تظهر في وسط الأرض، وطولها عظيم، فكبرت الشجرة وقويت فبلغ عُلوها السماء، وقد كان منظرها مهيبًا وفروعها إلى أقصى كل الأرض، أوراقها جميلة، وثمرها كثير، وفيها طعام للجميع، وتحتها استظل حيوان البَر، وفي أغصانها سكنت الطيور، وأكل منها كل البشر، وحين كنت أنت مستغرقًا في تأمل تلك الشجرة فإذا برجلٍ ذي وجه ناصح البياض كأنه من نور نزل من السماء، وقال: «اقطعوا الشجرة أغصانها، وانثروا أوراقها، وابذروا ثمرها، ليهرب الحيوان من تحتها والطيور من أغصانها، ولكن اتركوا ساق أصلها في الأرض، وبقيد من حديد

ونحاس قيّدوا تلك الساق في عشب الحقل، فتحوَّلت الشجرة إلى إنسان. فقال الرجل المهيب: اتركوه ليبتل بندى السماء، وليتغير قلبه ويُعطى قلب حيوان، وليظل هكذا لسبعة أزمنة لكي تعلم جميع الأحياء أن العليّ مُتسلِّط على ممالك الناس يُعطيها لمن يشاء ويخسف الأرض بمن يشاء... هكذا رأيتُ في منامك؟».

تعجَّب الملك ونظر إليه واجمًا وقال له: «والآن ما تفسير هذا الحلم؟!».

قال (دانيال) للملك: «أما بعد فبنعمة الرب عليَّ سأفسره لك..

يا سيدي الملك، الشجرة التي رأيتها كبرت وقويت وبلغ عُلوها إلى السماء إنما هي أنت الذي كبرت وتقوَّيت وزادت عظمتك وبلغت إلى السماء، وسلطانك إلى أقصى الأرض، ولكنك قد ظلمتَ نفسك، وطغيتَ، وتجبرتَ في الأرض فكان هذا قضاء الرب عليك؛ يَطردونك من بين الناس، وتكون سُكناك مع حيوانات البراري، ويطعمونك العشب كالثيران، ويبلونك بندى السماء فتمضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العليّ مُتسلط في مملكة الناس ويُعطيها من يشاء.

وحيث قدر العليّ أن تبقى أصول الشجرة في مكانها، فإن مملكتك ستظل ثابتة لك عندما تعلم أن للسماء سلطانًا واحدًا وللكون إلهًا واحدًا؛ لذلك أيها الملك، فلتكن مشورتي مقبولة لديك، وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعلهُ يُطال اطمئنانك».

ولكن من ذلك الملك؟ وكيف تحققت تلك النبوءة العجيبة عليه؟ وكيف تحوَّل من جبار إلى رجل فَقَدَ عقله؟!

إنه الملك (بختنصر) أو (نبوخذ نصر الثاني)، أو (نبو كودورو أوسور) باللغة الأكدية، ومعناه (نابو) يحمي ذريته. و(نابو) هو إله الكتابة والحِكمة عند البابليين، وقد أطلق عليه الفرس اسم (بختنصر)، ومعناه السعيد الحظ.

وُلِد (نبوخذ نصر الثاني) عام 634 قبل الميلاد، فيما تُعرف الآن بالإمبراطورية البابلية الحديثة، وأصبح أحد أعظم الملوك البابليين.

لقد جعل (نبوخذ نصر) الإمبراطورية الكلدانية البابلية من أقوى الإمبراطوريات في العالم، واستطاع بذكائه وقوة جيوشه أن يفرض سيطرته على مناطق واسعة من الدول المجاورة، فخاض

حروبًا ضد الآشوريين، واستولى على مناطق كانت خاضعة لنفوذهم مثل الشام وفينيقية، كما حارب المصريين وأسقط مدينة أورشليم (القدس) مرتين؛ الأولى في 597 قبل الميلاد والثانية عام

587. وكانت النتيجة بناء إمبراطورية كلدانية بابلية عظيمة امتدت قوتها من الخليج العربي وبلاد الفرس إلى البحر الأبيض المتوسط.

إضافة لأعمال (نبوخذ نصر) الحربية والتي لا تقل شأنًا عن أسلافه ملوك بلاد الرافدين من الأكديين والآشوريين، فكان له أيضًا عِدَّة أعمال عمرانية، منها بناء الحدائق المُعلَّقة التي سميت بحدائق بابل المعلقة، وقد بُنيت هذه الجنائن إكرامًا لزوجته (إميديا) التي عُرفت باسم (سميراميس) ابنة الملك (سياخريس)(20) الذي تحالف معه (نبوخذ نصر)، وقد أعدها المؤرخون ضمن عجائب الدنيا السبع القديمة.

كما دعم بابل بسورين أحدهما داخلي والآخر خارجي، وكان عرضهما كبيرًا. وقد كانت بابل هي المدينة الوحيدة التي كانت تمشي فيها العربات على سورها، كما بنى (نبوخذ نصر) لمدينة بابل 8 بوابات، وكان أكبرها بوابة عشتار باسم (الإلهة عشتار)، والتي كانت تتوسط شارع الموكب الذي كان يحتفل به البابليون بعيد أكيتو((21)). كما بنى (نبوخذ نصر) المعابد مثل معبد (إيساكيلا)، ومعبد (إيتيمينانكي) الذي كان مسكن الإله (مردوخ) حسب المعتقد البابلي، وبنى (نبوخذ نصر) قصرًا كبيرًا لنفسه، كما نُسب إليه بناء تمثال أسد بابل الذي ما زال موجودًا في بابل. وكذلك ذُكر أن الملك كتب شريعة قانونية وطوَّرها، سُمِّيت باسم (شريعة الشمس). كانت بابل في زمن (نبوخذ نصر) أجمل مدن العالم القديم، ونالت شهرة كبيرة بين الأمم في ذلك الوقت. وفي إحدى الكتابات المنقوشة على جدار بوابة عشتار: كتب «أنَا (نبوخذ نصر) باني هذه الأسوار والبوابات، وأنا الذي أوصلتها إلى المياه من تحتها، وأنا الذي وضعتُ فيها الحجارة الزرقاء الصافية، وأنا الذي بنيتُ الغُرَف داخل السور، وأنا الذي نقشتُ صور الثيران والتنانين في السور، وأنا الذي زيَّنتُها بهذه الأشكال الجميلة لكي تتمتعَ البشريةُ برؤية هذا المنظرِ المهيبِ».

كل تلك الإنجازات التي عاشها الملك قد جعلته يشعر بأنه ليس

بشرًا، أصابه جنون القوة الذي سيطر على عقله، فتمادى في ظُلْمِه، واختلَّ عقلُه من شعورِه بالعظمة المُفْرِطة، وتزايدت أعراض جنون العظمة لديه فتأثر عقله أكثر فأكثر، فبدأ يتملكه شعور بأنه خارق يستطيع فِعْل ما يعجز عنه البشر، وقد تبدو هذه المعتقدات غريبةً بل ومستحيلة وليس

لها علاقة بالواقع؛ إذ إن وَهْم العَظَمَة هو أكثر من مُجرَّد غرور أو تقدير عالٍ للذات، وإنما يُمثِّل انفصالًا كبيرًا عن العالم الحقيقي.

كما أثَّرتْ تلك النبوءة على عقله تأثيرًا كبيرًا، فبات ينتظر أن يَرى نفسه وقد تَحققت فيه، وأصبح حيوانًا يأكل العشب حتى تأثر عقلُه الباطن واللاوعي العقلي لديه واتَّحد مع الواقع.

وبالفعل تحقَّق الحلم الذي كثيرًا ما سيطر على عقله، وقد أُصيب الملك بأحد الأمراض النفسية النادرة وهو (البانثروبيا).

وقد تحققت النبوءة بالفعل وفقًا للنص التوراتي الذي جاء فيه: «كل هذه الأمور التي حدثت للملك (نبوخذ نصر) بعد اثني عشر شهرًا من الحلم اضطر (نبوخذ نصر) إلى الابتعاد عن الناس. بدأ يأكل العشب مثل الثور. تبلَّل من الندى. كان شعره يطول مثل ريش نسر وأظافره تطول مثل مخالب طائر». وقد استمر جنون الملك سبع سنوات حتى مات على حالته تلك بعدما ظلَّ يحكم الإمبراطورية البابلية ٤٣ سنة.

المراجع

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس.
- تاريخ حضارات العالم - شارل سنيوبوس.
- الكتاب الأخضر - معمر القذافي.
- الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار - د.أحمد غانم حافظ.
- أطلس التاريخ القديم - د.سيف الدين الكاتب.
- عقلاء المجانين - أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب.
- تاريخ أفريقيا السوداء - يوسف روكز.
- كفاحي - أدولف هتلر.
- هتلر في الميزان - عباس محمود العقاد.
- سر الحاكم بأمر الله - علي أحمد باكثير.
- ذخيرة الملوك في علم السلوك - أبي المحامد أحمد بن محمد المظفر الرازي.
- دانيال الرجل المحبوب - القس داود لمعي.
- أغرب الشخصيات في التاريخ - رمزي المنياوي.
- البشر موجز تاريخ الفشل وكيف أفسدنا كل شيء - توم فيليبس.
- الكامل في التاريخ -عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكريم.
- الطرائد - أينك كوجان.
- الأسرار الخفية لنوبات الصرع والتشنجات - أ.د أيمن الحسيني.
- التحليل السيكولوجي للشخصيات - دون لوري.
- الاضطرابات النفسية - سيجموند فرويد.
- الاضطرابات الجنسية - د. محمد حسن غانم.
- الموسوعة النفسية الجنسية - د. عبد المنعم الحفني.
- علم نفس الشخصية مدخل ونظريات - أ.د عادل محمد هريدي - د.خالد بن محمد قليوبي

---

(1) الشيوعيون البلاشفة.. البلشفية أو البلاشفة أو البلشفيك التي تعني الكثرة أو الأكثرية. وقد أطلقت جماعة الجناح اليساري من أنصار (لينين)، في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي هذا التعبير على نفسها عام 1903. وكانوا يشكلون الأكثرية في الحزب، بينما سمي البقية بالمونشفيك (أي الأقلية)، وكانت الأكثرية تسعى للحل الثوري بينما الأقلية تسعى للتغيير السلمي. إلى جانب هذا كوَّن البلاشفة جيشًا يسمى بالجيش الأحمر الذي

خاض حروبًا أهلية مع الجيش الأبيض، وهذا الأخير الذي كان مدعمًا من الغرب (بريطانيا - فرنسا)، وكانت الغلبة للبلاشفة حينها سيطر على الحكم في روسيا في ظل الحكم الاشتراكي.
(2) حزب الليكود: هو الحزب الرئيسي في يمين وسط الطيف السياسي الإسرائيلي،تم تأسيسه في ١٣سبتمبر ١٩٧٣عندما إندمج حزب حيروت والحزب الليبرالي الإسرائيلي في تكتل واحد تحت مسمى الليكود.

(3) ممر متلا: ممر طويل متعرج طوله ٣٢كم في سيناء يقع بين سلاسل جبال شمال وجنوب سيناء على بعد حوالي ٥٠كم شرق السويس.
(4) ولاشيا: منطقة جغرافية وتاريخية في رومانيا، تقع في شمال نهر الدانوب.
(5) ترانسيلفانيا: إقليم من أقاليم رومانيا التسعة، ويعدُّ القلب التاريخي لرومانيا.
(6) البلقان: هي منطقة تقع في الجزء الجنوبي من قارة أوربا في شرق شبه الجزيرة الإيطالية وفي الشمال الغربي من منطقة الأناضول، وتستمد اسمها من جبال البلقان الممتدة من الغرب إلى الشمال.
(7) البويار: هو أعلى طبقة من النبلاء، حيث لم يكن يعلوهم مكانة سوى الأمراء.
(8) () يوحنا هونياد: قائد عسكري مجري، وأمير ترانسيلفانيا.
(9) () مولدافيا: دولة أوربية تقع شرق أوربا بين أوكرانيا ورومانيا.
(10) الخازوق: هو وسيلة إعدام وتعذيب، وهو يمثل إحدى أبشع وسائل الإعدام، حيث يخترق جسد الضحية بعصا طويلة وحادة من ناحية وإخراجها من الناحية الأخرى. يدخل الخازوق من فم الضحية أحيانًا، وفي الأعم الأغلب من فتحة الشرج بعدها يثبت الخازوق في الأرض، ويترك الضحية معلقا حتى الموت. في معظم الأحيان يدخل الخازوق بطريقة تمنع الموت الفوري، ويستخدم الخازوق نفسه لمنع نزيف الدم، وبالتالي إطالة معاناة الضحية لأطول فترة ممكنة تصل إلى عدة ساعات، وإن كان الجلاد ماهرًا فإنها تصل إلى يوم كامل.
(11) الانكشاريون: هم قوات مشاة وفرسان من النخبة بالجيش العثماني، وكان جيش الانكشارية هو الجيش الرسمي للدولة حتى أُلغي عام 1826 على يد السلطان محمود الثاني.
(12) ترجوفيشت: مدينة جنوب وسط رومانيا.
(13) قلعة بويناري: قلعة فلاد دراكولا، ولاشيا، رومانيا.
(14) المدارس التبشيرية: هي مدارس دينية أنشأتها البعثات المسيحية، وكانت شائعة الاستخدام في الحقبة الاستعمارية بهدف فرض الثقافة الغربية على الشعوب الأخرى.
(15) سجن نجاراجيا: من أكبر السجون في أفريقيا الوسطى وتستخدم فيه أبشع أساليب التعذيب الوحشية.
(16) فليد مارشال: هي رتبة عسكرية رفيعة المستوى، وتكون أعلى رتبة في بعض الجيوش.
(17) الهرطقة: ويطلق عليها أيضًا الزندقة، هي تغيير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وخاصة الدين بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغيير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة.
(18) القار أو القطران: هو خليط من السوائل العضوية عالية اللزوجة لونها أسود.
(19) دانيال: هو أحد الأنبياء الأربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، وأحد أنبياء الإسلام، والشخصية المركزية في سفر دانيال. ينتسب دانيال إلى سبط يهوذا؛ وفقًا للرواية التوراتيّة.
(20) الملك سياخريس: هو ملك ميديا من سنة 625 إلى سنة 585 ق. م وميديا الآن هي دولة كردستان.

(21) عيد أكيتو: عيد رأس السنة البابلية.